الحاسة السادسة

الإنسان وقواه الخفيّة

الحاسة السادسة
الإنسان وقواه الخفية

د. طالب عمران

اسم الكتاب: الحاسة السادسة (الإنسان وقواه الخفية).

اســم المــؤلف: د. طالب عمران.

الترقيـم الـدولي: ISBN: 978- 9933- 567- 18 - 7

النــاشـــــــر: دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.

سنــة الطبـاعــة: 2018.



يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

سورية - دمشق - جرمانا - ص.ب: 249 جرمانا

هاتف: 00963115618956

: 00963115637060

فاكس: 00963115632860

aklpublishing@gmail.com

القسم الأوّل

قدرات العقل

1- الإنسان وتحدّيات العقل:

منذ أن نشأ الإنسان والمغامرة، وتحدي الأخطار، تشغل حيزاً هاماً من تفكيره. كان في البداية يتحدى الطبيعة من حوله في بيئة مليئة بالأهوال، القوي القادر فيها هو الذي يستمر بالحياة.. الوحوش من حوله والحشرات والهوام السامة في كهوفه وجحوره.. حتى بني جنسه كان الصراع بينه وبينهم على أشده، القوي الشجاع الجريء المغامر، الذي يتحدى الموت، هو الذي يسيطر بالتالي على القبيلة من حوله، ويظل مطاعاً ما دام محافظاً على قوته وجسارته، وحين يشيخ ويضعف يشب الأقوياء عليه ويفتكون به ثم يتصارعون فيما بينهم على الزعامة صراعاً مميتاً قاسياً لا رحمه فيه...

في فجر الزمن كان عالم الحياة على هذا الكوكب عالماً عدائياً قاسياً، مخلوقات تنتظر وتترقب، ومخلوقات يجب أن تقتل لتعيش، ولم يكن يميز الإنسان عن سائر المخلوقات من حوله سوى دهائه وذكائه. لم يكن هناك كثير من البشر بعد، كان الإنسان يعيش في قبائل معزولة في القفر، تجهل أحياناً وجود قبائل غيرها..

انهماكها بالعيش صرفها عن الفضول، كانت تخاف المجهول، شرائعها بسيطة، القويّ هو المسيطر، وحين يكبر الإنسان ويشيخ يصبح عالة وعبئاً على أفراد أسرته قد يدفعه الشبان في درب وعر، أو من فوق قمة عالية، حيث تنقض النسور عليه وتنهي حياته. وأحياناً تبعده القبيلة عنها إلى مكان يترك فيه لمصيره المجهول، من يحيا عليه أن يعمل ويقاتل في سبيل لقمته لا شريعة سوى القوة وقانون الغاب..

ثم بدأ الإنسان يتعرف على النار، أعطته النار القوة ليكافح البيئة المعادية حوله كانت النار شيئاً مهماً له لينقذ نفسه، كانت تشكل له شيئاً غامضاً

سحرياً، وحين عثر عليها لأول مرة احتفظ بشعلتها الدائمة كانت كنزاً ثميناً بالنسبة له.. كأنما سرقها من الطبيعة وقد أحرقت صاعقة بعض الأشجار وشاهد الإنسان الحريق.. كان عليه أن يبقيها دوماً مشتعلة يحميها من المطر والريح ويحرسها لكي لا يسرقها أحد كانت رمز القدرة وتعني عطاء الحياة، والقبيلة التي تملكها، تملك حياتها وقوتها..

ومع مضي الزمن تعرف الإنسان على سر النار بقدح بعض الحجارة ببعضها فتنطلق شرارات تشعل كمية من القش تمهيداً لاشتعال النار العظيمة في وسط مرابض القبيلة، كما تمكن عن طريق احتكاك قضيبين خشبيين أن يشعلها أيضاً.. ثم بدأ يصنع أدوات لنفسه تمكنه من إشعالها في أي وقت يشاء..

ومع عصر التعدين بدأت تظهر صناعات بدائية.. وكون الإنسان لنفسه المدن وبناها وشيدها بتعبه وعرقه وتوضحت الخطوط الفاصلة بين السادة والعبيد... وكان القوي القادر الشجاع هو الذي يتربع على عرش السيطرة والقوة..

وعبر كل تلك الأزمنة ظل الجريء ومتحدي المخاطر، مثار إعجاب من حوله ويشار له بالبنان، في ساحات الصراع حين يصارع شجعان العبيد الوحوش، أو يصارعون بعضهم حتى الموت، كان البطل هو الذي يستمر حياً بعد صراعات الموت المتتالية في الحلبة.

وكانت حياة العبيد ومحترفي لعبة الموت ترتبط بالسيد الأمير فبإمكانه أن يرفع شأن عبده أو يبالغ في إذلاله وكسر شوكته.. لعبة مقيتة ارتبطت بأنانية الإنسان منذ فجر التاريخ ...

صنع الإنسان منذ بدء التاريخ حضارات متعاقبة كان يعتقد أنها التطور

الأمثل الذي يطمح إليه، وكان يكتشف متأخراً أنه يضع بذلك لبنة في بناء التراث الإنساني الذي يستمر في الشموخ والارتفاع رغم الدمار والحروب وانهيار القيم أحياناً.

وتتجلى عظمة العلم في الاتجاه الإيجابي للتطور العلمي، لخلاص الإنسان من المحن رغم الحقد والكراهية التي تحدث كل فترة شرخاً ينهار فيه جزءاً من البناء الحضاري ليعيد الإنسان الواعي بناءه من جديد..

وبرز مع العصر اتجاهان للعلم، اتجاه يبني ويعطي الإنسان ثماراً تساعده على مكافحة الأوبئة والجوع والسعي نحو الرفاه الإنساني وهو اتجاه أسفر عن حلول هائلة لمشاكل مستعصية عذبت الجنس البشري وحدّت من عطاءاته..

واتجاه آخر استخدم فيه الإنسان تطوره العلمي لاستنباط وسائل الدمار والإبادة والاستغلال والقمع..

وظلّت عوالم صغيرة منغلقة على الكشف العلمي، تعيش قانعة ببدائيتها وصراعاتها مع الطبيعة منغمسة بعادات وتقاليد موروثة..

أما لماذا استعصت تلك المناطق على الكشف العلمي، فيعود إلى أن سكانها وعددهم ليس قليلاً – ونجد منهم الكثيرين في أدغال أفريقيا والأمازون وجنوب شرقي آسيا – تعرفوا على العلم من خلال بندقية الأبيض..

البندقية التي تبصق ناراً وتقتل، وأخافهم الأبيض بحبله الطويل الذي يلتف حول الرقبة ليباع الواحد منهم في سوق الرقيق بلا حول ولا قوة.. كان الوجه البشع للعلم هو الذي ظهر لهم بسبب أنانية وجشع المستعمر الذي انتشرت جيوشه بحثاً عن الثروة والكنوز والسلع الرابحة...

ولو تعرّف الإنسان في تلك المناطق المنعزلة على العلم الذي يشفي المرضى

ويزيل المتاعب ويجلو الأسرار المعرفية، لكان استقباله للمكتشفين من أبناء جنسه يختلف عن استقباله لهم وهم يبيدونه بالرصاص، أو يطاردونه ليأسروه كالحيوان ليباع في سوق الرقيق..

2- الإبحار في المعرفة:

الذكاء الإنساني، هو ذكاء متفرد في كوكبنا الذي نعيش فيه، ومهما بحثنا عن بذور ذكاء في كائنات حية أخرى تعيش على اليابسة أو في المحيطات لن نستطيع – كما نعلم – أن نقارنها بالذكاء الإنساني.

والإنسان بطبعه، فضولي يحبّ البحث والاستطلاع وكشف الجوانب الخفية من حوله.. إنه كتلة من المشاعر المتناسقة المتناقضة أحياناً أخرى.

وهذه المشاعر تؤثر عليه وعلى قراراته ومحاولاته التعبير عن رغبة الكشف والإبحار فيها..

أن يتأمل ويستطلع ويبحر في الحلم، وأحلامه المرتبطة بالاكتشافات تقدم له المزيد من الإبداعات والابتكارات.

ترهقه الأسئلة التي يبحث عن أجوبتها بلهفة وشغف وقد يفشل في التقاط العديد من الأجوبة المنطقية عن تلك الأسئلة..

من هو؟ كيف أتى؟ ومن أين؟ وإلى أين تسير حياته؟ ماهي توقعاته عن أيامه المقبلة؟ ماذا عن مستقبله الغامض؟

ماذا عن الموت؟ كيف يموت الكائن الحيّ؟ ماذا عن تفسخ الكائنات الحيّة وفنائها؟ ماذا بعد الموت؟ هل الحياة محطّة من محطّات كثيرة مجهولة؟

ثوان قليلة تظهر فيها دقائق الذرة وتختفي، فيروسات لا تعيش سوى لفترات قصيرة، فيروسات تستوطن وتظل فيه حتى بعد موتها..

جراثيم مختلفة الأعمار والأشكال والنشاطات تهاجم الكائن الحيّ وقد تفترسه وتقتله، أو يقضي عليها بالمناعة الطبيعية أو بالدواء..

حيوانات تعيش وتموت في دورات حياة منتظمة، أو متغيّرة أحياناً من شكل لآخر كما في حالة الفراشات..

نبات بدائي، نبات متطور، رخويات، لافقاريات، كائنات فقارية بيوضة، ثم ولودة.. كلها تعيش بدورات حياة خاصة.. مختلفة، غريبة أحياناً..

كوكب الأرض هو كوكب الحياة التي نعرفها، حياة عضوية، تعتمد على عناصر معدنية.. ولكن هل هذا هو عنوان الحياة في كواكب أخرى؟

هل العضوية صفة شاملة للكائنات الحية في الكون.. ماهي أدلتنا على ذلك؟ وهل نستطيع أن نعمم هذه الأدلة؟

هل الذكاء الإنساني هو المثل الأعلى للذكاء العاقل في الكون؟

لقد تطوّر الإنسان باستخدامه لذكائه، وشهدت مسيرته حضارات متعاقبة.. ومازال تطوره العقلي مستمراً، رغم أنه استخدمه أحياناً في الدمار والقتل.

وابتكر الإنسان إلى جانب آلات رفاهه وتقدمه آلات دمار وتخريب، وقضى بجبروته أحياناً على ملايين ملايين الضحايا من بني جنسه.

في كوكبه تزداد الحياة صعوبة، نظراً لاستهتاره بإقامة صناعات تعتمد مبدأ الجشع، وفي المقابل تخرب استقرار الجو الذي يحتضنه مع بني جنسه ومع الكائنات الأخرى النباتية والحيوانية التي تشاركه الحياة على كوكبه..

أهناك حضارات عاقلة على كواكب أخرى، تبتكر مثل أنظمة الدمار هذه؟ كيف السبيل إلى البحث عنها؟ وكيف سنتلمس وجودها الفعلي؟

***

لكل كائن في العالم الذي نعرفه طريقته في التأقلم مع البيئة التي يعيش فيها، وطريقته في التعامل مع الموجودات في هذه البيئة، ومع الحركة والسعي نحو الغذاء والأمان..

الإنسان يسعى نحو رزقه وتأمين معيشته وحياته الآمنة، ويسعى للكشف والتعرف على ما حوله والدخول في مجالات الابتكار والتجديد، واختراع

واستنباط وسائل تريحه وترفهه..

ومسيرة الإنسان عبر التاريخ تظهر مدى التطور الذي وصل إليه عبر استخدام عقله النيّر، في سبيل الأمان والتأقلم مع ظروفه المتغايرة أحياناً..

ورغم أن التطور العلمي أعطى للإنسان إمكانات هائلة نتيجة الاستناد إلى المنهج المنطقي والرياضي في التفكير، ولكن ليس كل ما يدور في العقل في كل وقت يمكن التعامل معه بهذا المنهج..

اللون الرمادي هو لون مميز ولكنه يشكل خليطاً من لونين هما الأبيض والأسود وهما لونان متباينان تماماً..

وحين نصنف الرمادي نجد صعوبة في وضعه بين الألوان كلون مستقل، رغم أن العقل يفضل التعريفات الثابتة لطريقة تشكل هذا اللون كمزيج من لونين متباينين..

إن الهلوسة التي تعتري الإنسان، إثر إصابته بحمى أو تناوله المخدر، قد تنقله إلى عوالم غريبة يعتقد فيها أنه يكتشف الأسرار ويرى مالا يمكن للآخرين رؤيته..

ولكن الحقيقة أن ما يجري داخل دماغه ليس سوى اضطراب في الصور المتداعية. تتخلل أشكال غريبة ربما كانت جزءاً من العوالم المشوهة التي يتخيل أنه يراها.

حتى الدخول في حالات التنويم الإيحائي لا يشكل كشفاً، إنه يخضع المنوم لتأثيرات متداخلة لا ترتبط بالواقع أو بالذاكرة أو بنبضات الدماغ المنتظم..

إن أية فكرة تخطر في بال الإنسان الساعي للكشف قد تجعله يلاحق تنفيذها متعجلاً، وقد تجعله يقتل بمحاولاته الفكرة أحياناً.. كما يقتل جامع الفراشات فراشة جميلة أعجبته..

إن العقل يحوي أوهاماً وخرافات قد يتدخل المنطق أحياناً فيطردها، وربما تكون بعض هذه الأوهام والخرافات بذوراً لأفكار نافعة..

ولكن التشتت بالوهم قد يلغي المنطق أحياناً ويسبب للإنسان الجنوح نحو عوالم غير مترابطة..

***

ربما كانت الشجرة – كشجرة البلوط مثلاً – أشبه بعالم كبير، بجذعها وفروعها الممتدة طولاً وعرضاً..

إنها شاهد على الأحداث الكبيرة التي جرت إبان حياتها، مثل أن تجف وتهرم وتموت..

منذ أن كانت بذرة انتشت وتجذرت وامتدت أغصانها، وكلما كانت مرتفعة وثخينة الجذع كلما كان عمرها كبيراً، قد يصل إلى المئتين أو حتى الخمسمئة سنة..

أحداث كثيرة قد تكون مرت عليها، وشهدت لقاءات وسهرات ومشاجرات وطيوراً تحط وتفرخ، وثعابين تسعى خلف الأعشاش التي تحوي فراخ الطيور الصغيرة.. مطر، رياح، حرارة، ورطوبة وصقيع وثمار تنضج وتسقط..

إنها تسجل أحداثاً متنوعة وهي تتمتع بخصائص تشبه غيرها من شجر البلوط، في استقلاليتها الكاملة.. وخبراتها الموروثة عن الأشجار القديمة وهي تعطي هذه الخبرات بذورها التي تنتش من جديد..

ربما كان الإنسان يشبه الشجرة في الاستقلالية وكسب الخبرات وتوريثها، ولكن الشجرة الثابتة في مكانها تشهد أحداثاً حول محيطها الصغير، لو اعتبرنا أن لها إمكانية على تسجيل حدث حول محيطها يمكن لكاميرا سحرية أن تحتفظ به..

الإنسان كتلة من المشاعر والأحاسيس يتأثر بالأحداث ويؤثّر بها في محيط متحرك متنقل قد يشمل مناطق كثيرة من الأرض، وقدرته على تسجيل الأحداث تفوق التصور.. فسبحان الخالق العظيم..

رغم أن الإنسان يشعر أحياناً أنه لا يتذكر بعض الأجزاء من ماضيه، إلا أنه لا ينسى رغم أن الذاكرة تغلف بالضباب أحياناً..

فحين ينوّم مغناطيسياً يمكن قراءة ذكرياته بدقة مدهشة، رغم أنه في حالته العادية قد يقسر ذاكرته على نبش حدث في الماضي دون أن ينجح في استيعاده..

إلا أنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي يستعيده بتفاصيله المدهشة..

وربما كان الحلم منفذاً على عوالم غريبة ليست لها علاقة بعالمنا، وربما كان هو المنفذ الوحيد على تلك العوالم..

فبالحلم ينتقل الإنسان إلى الماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل البعيد ورغم تمازج الحلم مع الواقع فإن عالم الحلم يختلف عن الواقع..

خلال أعشار الثانية قد ينتقل بك الحلم لتعيش حدثاً طويلاً بتفاصيله، فالحلم يقفز فوق الزمن العادي بسرعة مذهلة..

والحلم قد يغني الخيال بتصورات عن عوالم لم يعرفها الإنسان من قبل، وهو وقد ينقله إلى أجواء الفضاء مخترقاً المسافات والسدم ليحط الرحال في كوكب لم يكتشفه الإنسان ولم يعرف عنه شيئاً ولم يعرف ربما عن وجوده..

وبالحلم تحقق للإنسان هذا التطور الفريد الذي يشهده حالياً، ولولا الحلم والخيال ما تحقق اختراع أو نظرية جديدة..

فكل الخيالات ترتبط بالنشاط الفكري الذي هو نتاج العقل البشري، ولولا الخيال ما جنح الإنسان نحو التطور والتقدم..

ورغم أن هذا العصر قفز بالإنسان إلى تكنولوجيا متطورة فاقت كثيراً كل تصورات الإنسان القديم، فإن هذه التكنولوجيا قد أثرت عليه بالحد من خيالاته وأحلامه.. وأحياناً دفعته في اتجاه أناني غير أخلاقي متناسياً الأمانة التي حملها..

3- مراكز متفوقة في الدماغ:

لاشك أن التطور العلمي مردّه إلى العقل، هذا الجهاز الفريد الذي يستند في آفاق منهجه العلمي إلى المنطق الرياضي..

والعقل قد يأتي بالكثير من الإنجازات، وبواسطة نزعة الإنسان الخيّرة، تصبح هذه الانجازات موجهة لخدمة الإنسان وحل مشاكله المرضية والنفسية والاجتماعية..

ولكن التطور العلمي لم يقم أحياناً بدراسة النتائج السلبية للعلم المرتبط بالجشع ومالها من تأثيرات مباشرة على الإنسان..

فرغم أن الصناعة قدمت الكثير للإنسان ولتطوير إمكاناته والخروج من مسار المكان أحياناً، فالصناعة لوثت الجو وسببت للإنسان الأمراض القاتلة أحياناً..

وضمن هذا السياق تأقلمت بعض الكائنات مع هذه النفايات الخارجة من المصانع أو المواد الكيماوية المتسربة إلى المياه فحصنت نفسها ضد تأثيراتها الضارة..

بل واستفادت من موادها الغريبة في الخروج من إطار التوالد الطبيعي إلى التوالد الصنعي المتفجر في تكاثر فائق عن الحد..

لقد حذر العلماء والكتّاب والمفكرين من فوضى الجو الملوث وأنه قد يجلب كوارث كبيرة للإنسان، وهذا ما بدأ الإنسان يحصد نتائجه في أغلب البلدان..

لوثت الصناعة الهواء بالدخان والأبخرة والمواد الكيماوية المخربة لاستقرار الجو، كما تسربت السموم والكيماويات الضارة إلى المياه فنقلت الخراب للجسم البشري وقوّضت دفاعاته..

وزحف التصحر على الخضرة يأكل خصوبة الأرض ويغير من طبيعتها

وطبيعة مناخها المستقر لتزداد الفروقات بين درجات الحرارة العليا والدنيا إلى حد كبير..

ومازال الاتجاه السلبي للعلم ينتج الخراب والدمار دون أن يتمكن الإنسان من كبح جماح اندفاعاته المجنونة فيهدد الكوكب برمته بكارثة.. إنه سوء استخدام العقل..

يؤكد العلماء والمفكرين أن الأفكار الجديدة هي الهدف من التفكير الجانبي وهي أسهل من تنفيذ الأفكار المبتكرة..

وغالباً ما يكون المستفيدون من هذه الأفكار والقادرون على تنفيذها، غير أصحابها، ولابد من نقل اقتناع صاحب الفكرة وحماسته المتقدة للمنفذين والمستفيدين منها، حتى يبدؤوا بتنفيذها ونقلها إلى الواقع..

والأفكار الجديدة دليل قدرة الإنسان على العطاء وكل الأفكار تبدأ خيالاً، وقد ينجح هذا الخيال أحياناً، ولكنه أساس ملكات الابتكار والاختراع والتطور بجميع صنوفه..

وربما كان العالم الداخلي للإنسان هو الأساس في توليد الأفكار الجديدة، وربما كان مستودع النبوغ والتفوق..

والخيال المرتبط بالبحث عن حلول لمشاكل الإنسان قدم أفكاراً مبتكرة تحولت إلى اختراعات، ومازال الخيال العلمي يحمل بذور مكافحة هموم المستقبل البشري المهدد بتحولات خطيرة نتيجة فوضى استخدام العلم..

قد تدفع المصادفة أحياناً في توليد الأفكار الجديدة وهو مفهوم قد يكون مناقضاً للمنطق العلمي إلا أنه يحدث أحياناً..

لقد اكتشف (هرتز) الموجات اللاسلكية عندما لاحظ انطلاق شرارة من أحد الأجهزة الكهربائية التي كان يجري عليها أبحاثه، ودرس سبب هذه الشرارة

فأوصلته هذه الدراسة لاكتشاف موجات اللاسلكي..
واكتشف (رونتجن) الأشعة السينية عندما نسي نقل شاشة مضيئة من فوق أنبوبه، أشعة (كاثود) كان يلعب بها في تجاربه..
واكتشف (داغير) طريقة عمل اللوح الحساس للضوء من ملاحظة صورة معلقة فضية انطبعت على سطح معدن معالج باليود فاكتشف بذلك التصوير الفوتوغرافي أو التصوير الضوئي..
وجرب (أديسون) كثيراً مواد غمسها بالسوائل ووضعها بين قطبين متباينين في الشحنة حتى وصل أخيراً إلى المادة التي جعلته يخترع المصباح الكهربائي..
إنه استخدام العقل المنظم والإصرار على البحث الذي قد يأتي بالابتكار والنجاح الهائل..
هناك كثير من الاكتشافات المدهشة، ساهمت الصدفة في كشفها.. إذ يبدأ الباحث في رصد كشف ما أتاه بالصدفة ليصل إلى كشف آخر مذهل.
ويتعلق العلماء أحياناً بمحاسن المصادفات ليحصلوا على إمكانية استمرار أبحاثهم، التي لا تبدو لها فائدة عملية، وكثيراً ما يفشلون في الوصول إلى نتائج حقيقية مبتكرة.
المصادفات في حياتنا قد تجلب لنا الكثير من المتعة والمتابعة.. وأحياناً تجلب الكثير من الهم والحزن..
قد تكون المصادفة أحياناً بوابة عطاء غير محدود، ولكن احتمال حدوثها ضئيل جداً في علم التوقع..
كل شيء مرسوم بدقة، وحسابات الصدفة في المنطق الرياضي، غير موجودة..

فالصدفة نتيجة منطقية لسبب ما بالتأكيد. فلو درسناها جيداً لوجدنا أنها لم تحدث هكذا دون مبرر.. بل هناك سبب منطقي لحدوثها..

الدماغ البشري سر الأسرار، وإضاءات العقل الناتجة عن ومضات الدماغ كثيراً ما تقدم نتائج علمية هامة تؤكد على قدرة هذا الدماغ المليء بالألغاز، التي لم يستطع الإنسان فك طلاسمها بعد..

***

عمر الإنسان ليس سوى لحظة ضئيلة أمام عمر الكون، أو عمر النجم أو عمر الكوكب..

فعمر الإنسان يبدأ بالتراكم منذ ولادته، إنه التقدم المستمر للماضي على حساب المستقبل، إنه يتورّم كلما تقدم بالإنسان العمر، ويتكدس الماضي..

الماضي هو تاريخ، وطول هذا التاريخ بالنسبة لنا يعبّر عن حياتنا الداخلية أكثر مما يعبر عن عدد السنوات التي عشناها، كأن الأيام تطير بسرعة كبيرة..

كل لحظة تنتهي فيها خلايا، وتنشأ فيها خلايا أخرى في الجسم، والدماغ يفقد خلاياه دون رجعة أو تبديل، فخلايا الدماغ النبيلة ثابتة، ما يموت منها لا يستبدل بخلايا جديدة..

وهذا الموت في الخلايا الدماغية يجعلنا نفقد الكثير من قوة أحاسيسنا مع الشيخوخة، فيضعف البصر والسمع والذوق والحسّ والشم ويكثر النسيان نتيجة موت خلايا الذاكرة..

والعمر ينقضي وهو عدو عجرفة وتكبّر الإنسان وغروره، فمهما حاول مكافحة الشيخوخة بشدّ الجلد والأصباغ فإنه سيشيخ وسيصل إلى مرحلة تنتهي فيها حياته ويتفسّخ جسمه، ويصبح جسده جزءاً من تراب الأرض...

هذا التراب الذي يضم في طيّاته الكثير من الأجساد الفانية، ولكل منها قصة طويلة، وتحت بعض مناطق الأرض تكمن أسرار وحكايات..

تكمن مدن مقوضة مهدمة، عاش فيها أبناؤه يوماً بحيوية ونشاط، وزمن يتقدم فيه الماضي وينهش المستقبل الذي انتهى بالنسبة لهم ولو بعد حين...

من بين المدن المقوضة، قد نكتشف قصة أشبه بالألغاز، قصة غامضة، تحكي عن عالم طغت فيه نزعة الشر على حساب الخير، فكان الدمار وكانت النهاية..

وتمتد الأسطورة عميقاً في التاريخ البشري.. وتتفرّع إلى أشكال من الخرافات والحوادث تربط الإنسان بالطبيعة الغاضبة، الغامضة، وبالزمن وبالخيال المجنّح الذي كان مصدراً للإلهام والثقافات المختلفة..

وفي المناطق المعتدلة؛ حيث ازدهرت كل الحضارات البشرية تقريباً، كان للأسطورة معناها الخاص المتعلّق بعادات الشعوب وتقاليدها ومخزونها وآثارها.. والقوى الخفيّة، وأشكال الكائنات التي تمتع بقدرات لتتدخل في حياة الإنسان، وتغيّر من مسيرة حياته..

واستمرت الأساطير مع تقدم الزمن، وأصبح لها معناها المرتبط مع المخزون التاريخي للشعوب، ودرست الأساطير التي وردتنا عن الشعوب القديمة، فتعرفنا من خلالها على طبيعة تلك الشعوب ونفسيات أفرادها وإبداعاتهم في مجال الثقافة والأدب ورحلات الكشف..

والأساطير على مستوى الأفراد، تتكرر في كل عصر، قد نسمع أسطورة تتحدث عن شيخ جليل ينتقل بين مكان وآخر وبين زمن وآخر، أو عن امرأة تنشر الفوضى والموت.. أو عن رجل قوي يدافع عن الحق ويقوم بأعمال خارقة في ملاحقة الشر وضرب جذوره..

ولكل منطقة أساطيرها الخاصة، وهي أحياناً تشد الإنسان في هذا العصر إلى عوالمها الغنية بالخيال، الذي فقد توهجه بسبب التكنولوجيا التي ربطت الإنسان بالواقع، وأبعدته قليلاً عن الخيال...

4- الاستبصار بالحلم:

هل صدف أن قابلت شخصاً لأول مرة، وأنت تحس أن وجهه مألوف لك؟ لاريب أن كثيرين منا خضعوا لمثل هذه التجارب الفريدة في لقاء أشخاص وجوههم مألوفة كأنهم يعرفونهم منذ زمن، وأحياناً قد يعطيهم هذا الإحساس بالألفة بعض الجرأة في التعامل معهم فيرفعون معهم الكلفة وينطلقون في أحاديثهم، كأنهم أصدقاء قدامى.

ولكن ماذا لو حلمت بأنك قابلت شخصاً لأول مرة، وجهاً تراه في حلمك وقد تعايشه في أحداث ما تجري في الحلم، ثم تقابله بعد أيام بشحمه ولحمه ولأول مرة في حياتك؟ ماذا عن قوة الاستبصار بالحلم، هل هي حقاً موجودة؟ وما علاقتها بالحاسة السادسة؟

بعض الناس يحلمون كثيراً وربما تكون أحلامهم مهرباً لهم من متاعب حياتهم اليومية ومنغصاتهم، ولكن بعضهم أيضاً قد يلذ له أن يحلم وينقله خياله المجنّح في الحلم إلى ممالك خرافية يقابل فيها أناساً، ويلتقي بغرباء تجري معهم الحوادث المثيرة وربما المدهشة...

فالظامئ للحب في حياته، يحلم بالحب ويقابل حبيبة مجهولة ينبض قلبه للقياها وترتسم صورتها لساعات في ذهنه بعد أن يستيقظ... والمنشغل بالفلك تنقله أحلامه الخصبة إلى الفضاء في رحلات إلى كواكب بعيدة، ويعيش بعضاً من الحوادث المليئة بالدهشة والخوف عبر فضاء يقطعه بسفينته الخرافية.. والسجين يحلم بالحرية والحدائق الوارفة والطيور المغردة والهواء النقي كما يحلم بالحب الذي يفتقده فتخفف عنه هذه الأحلام هول عزلته ورعبها..

كلنا نحلم، البعض يتذكر أحلامه والبعض ينساها فور استيقاظه، البعض

يهتم بها ويستذكرها والبعض الآخر لا يبالي إن حلم بمدينة فاضلة أو بسجن ذي أقبية معتمة، ولكن ماذا عن الاستبصار بالحلم؟ هل يمكن أن يكون الحلم منفذ لرؤية أحداث مقبلة؟

لقد أكّد العلماء وجود مثل هذا الاستبصار وسجل بعضهم أحلاماً كثيرة لأشخاص مشهورين بالاستبصار بواسطة الأحلام.. تحققت غالبيتها..

كثيرون منا قد يملكون مثل هذه القوة ولكنهم يهملونها أو لا ينتبهون لها، أما تفسيرها فيشبه ما يسمى باختراق حاجز الزمن وهو موضوع يحتاج لبحث طويل وسيكون موضوعاً لحديث قادم.

لقد حدثت لي مثل هذه الحوادث في الاستبصار بالأحلام عدة مرات في حياتي لاأزال أذكرها جيداً، فحينما كنت في الثامنة من عمري، حلمت أنني التقيت رجلاً كبيراً بلحية بيضاء، أعطاني قلماً رصاصياً مذهباً ودربني على رسم الطيور وبعد أيام من ذلك دخل بيتنا ابن خالة والدي ويعيش في قطر عربي آخر، كان رجلاً كبيراً بلحية بيضاء أعطاني قلماً مذهباً من الرصاص وحكى لي حكايات ممتعة، وإبان إقامته معنا دربني على الرسم وكان شكله مطابقاً لشكل الرجل في الحلم..

ولعلّ أبرز الحوادث ما جرى معي إبان إقامتي في الهند، ففي الخامس من كانون الثاني عام 1981 كنت أزور مدينة (أندور) في أواسط الهند لأول مرة، كان الشارع الذي يسكن فيه أصدقائي مألوفاً لدي، ربما لشبهه الغريب بأحد شوارع المدينة التي نشأت فيها، وقد حلمت في تلك الليلة بأنني أتمشى في شارع مدينتي البعيدة ثم رأيت جمعاً غفيراً ونساء بثياب هندية، حين اقتربت منه رأيت داخل الحشد كهلاً بثياب خفيفة يعزف على المزمار وتتراقص حوله الأفاعي.. استيقظت مرعوباً وبقيت لدقائق أحاول أن أنسى

منظر الأفاعي المخيفة وهي تتراقص على أنغام المزمار.
وفي اليوم التالي وإبان عودتنا وأصدقائي من جولة في المدينة شاهدنا عن بعد حشداً ذكرني بالحشد الذي رأيته في الحلم فقلت لأصدقائي دون أن أعي: (إنهم يجتمعون حول رجل يجعل الأفاعي ترقص بمزماره) نظروا لي مستغربين ثم سمعنا ونحن نقترب فعلاً صوت المزمار وكان نفس المنظر الذي رأيته في الحلم، الكهل ذو الثياب الخفيفة وهو يعزف على المزمار والأفاعي الكريهة حوله تتراقص.
وقبل نهاية زيارتي لأندور حلمت أنني التقيت في محطة القطار في مدينة بوبال التي تبعد عن أندور نحو خمس ساعات في السيارة صبية وأخاها، كانت جميلة الوجه بسمرة خفيفة ترتدي سارياً أخضر، بينما كان أخوها يضع على عينيه نظارات سميكة وقد شربنا الشاي بالحليب ونحن ننتظر القطار.. وحين صحوت في اليوم التالي ظلت صور الحلم تلحّ عليّ لعدة ساعات في النهار وأنا أجهز نفسي للرحيل حيث انطلقت نحو بوبال عاصمة الولاية في نحو السادسة بسيارة أجرة وقد همست لأحد أصدقائي: (لن أنسى هذه الأيام التي عشتها هنا) وكنت أتذكر حلمي بالرجل الكهل وهو يعزف على مزماره وحوله الثعابين الراقصة.
وقد نما عندي إحساس خاص بأنني سألتقي بالصبية التي رأيتها في الحلم ولست أدري ما دفعني لأفكر بهذا الاتجاه؟.. إلا أنني بعد ساعات نسيت الحلم الذي كنت أسترجعه وانشغلت بعد وصولي لبوبال – وهي نفس المدينة التي حدثت فيها كارثة تسرب الغازات السامة من مصنع كيماوي وأهلكت وشوهت عدداً كبيراً من الضحايا – بتدبير (سكوتو) للوصول إلى المحطة الرئيسية وكانت الساعة تقارب الحادية عشرة والنصف وموعد وصول القطار

المتجه إلى أغرا المدينة التي أقصدها هو بعد نصف ساعة ولم تكن المسافة بين الكراج والمحطة قصيرة، أبلغني موظف الاستعلامات عند وصولي بأن القطار المتجه لأغرا سيتأخر حتى الواحدة والنصف، وكانت قاعات المحطة تغص بالمسافرين الذين افترشوا الأرض ولذلك انزويت على أحد أرصفة المحطة أقرأ كتاباً منتظراً وصول القطار المتأخر.

بعد نحو ساعة انتبهت على خطوات مختلطة تقترب مني، والرصيف الذي أجلس على أحد مقاعده شبه خال من الركاب، وما أن رفعت رأسي أرمق بفضول القادمين حتى فوجئت بالوجه الأسمر الجميل لفتاة ترتدي الساري الأخضر وإلى جانبها رجل يضع عوينات سميكة ويحمل حقيبة ضخمة.. أحسست بقلبي يكاد ينخلع من صدري ولم أع كيف بادرت لتحيتهما وقد فوجئا بي، ولما رأيا سحنتي الغريبة التي تدل أنني لست من أهل البلاد، ابتسم الشاب في وجهي فدعوتهما للجلوس على المقعد الخشبي قربي..

وكما في الحلم تماماً شربنا الشاي معاً وقد امتدت صداقتي لراكيش – وهو اسم الشاب – طوال مدة إقامتي في الهند، أما أخته الشابة فبعد أقل من عام من لقائنا ذاك أصابها المرض وتوفيت وألقيت عليها وهي فوق المحرقة النظرة الأخيرة في مدينة (بنارس) على ضفاف نهر الغانج.. وأنا أشعر بحزن لا يوصف..

حتى الآن لاتزال تلك الأحداث تعيش في الذاكرة بكل تفاصيلها، ألم يكن ما رأيته فعلاً نوعاً من الاستبصار بالمستقبل عن طريق الحلم؟ وهل يمكن أن نفسر ذلك باختراق حاجز الزمن؟

5- صدى الأحلام:

هل يمكن أن يكون الحلم منفذاً لرؤية أحداث مقبلة؟ هذا السؤال بدأ يطرح نفسه بقوة في السنوات الأخيرة..

لقد أكد العلماء وجود مثل هذا الاستبصار وسجل بعضهم أحلاماً كثيرة لأشخاص مشهورين بالاستبصار بواسطة الأحلام تحققت غالبيتها... ما دمنا قد بدأنا الحديث عن الأحلام، سنتحدث عن ظاهرة لها علاقة بالأحلام فموضوع الاستبصار بالحلم أصبح يشغل العلماء في السنوات الأخيرة.. كثيرون منا قد يملكون مثل هذه القوة ولكنهم يهملونها أو لا ينتبهون لها، أما تفسيرها فيشبه ما يسمى باختراق حاجز الزمن.

نحن الآن في عام 1989 في شهر تموز.. حيث يقضي الدكتور عمّار إجازة في مدينته الساحلية.. بعد أشهر من العمل والإرهاق.. والدكتور عمّار يدرّس في الجامعة.. كان شاباً متحمساً، متفوقاً كثير الطموحات، قضى عامه الدراسي الأول متعباً يائساً.. بعد أن كان مندفعاً للعمل في البداية.. لأنه حمل معه بحوثه وآماله في متابعتها فاصطدم بالروتين، وأن الجامعة ليست كما كان يتوقع.. ورغم ذلك قدم ما يمليه عليه واجب المهنة.. ولم يتزوج بالطبع.. وكيف يتزوج ولا بيت عنده ولا استقرار مادي وقد تقاعد والده بعد عودته في انتظار أن يساعد أخوته في إكمال تعليمهم..

لدى وصوله إلى بيت أهله.. فتحوا له غرفة كانوا يستخدمونها للمؤونة وفرشوها بسرير ومنضدة وكرسي، ونصب له والده عدة رفوف لكتبه وقد عرف ولعه باقتناء الكتب.. كانت غرفة لم ينم فيها أحد من قبل، فيها نافذة مغلقة تطل على حوش الدار.. حاول والده أن يعطيه بعض الاستقلالية احتراماً لمركزه وشهادته، وقد توزع أخوته في غرف البيت الثلاثة مع والدهم..

أخواته البنات وعددهم ثلاثة ينمن في غرفة.. وأخواه وهما أصغر منه ببضع سنوات ينامان في غرفة.. أما الغرفة الثالثة فكانت لوالده وكانت غرفة ضيقة بعد أن تنازل الأب عن الغرفة الكبيرة لبناته الثلاثة بعد وفاة زوجته قبل سنوات.. كان بيتاً قديماً ولكنه كان متيناً بحجارته الضخمة وسقفه العالي..

وفي أول يوم قضاه عمّار بين أهله.. لجأ إلى غرفته متأخراً.. تمدد على السرير وأخذ يقرأ في أحد الكتب وتأخر به الوقت حتى الثالثة صباحاً.. أطفأ النور وهبت نسمة من الهواء من النافذة (إنها غرفة جيدة كيف أهمل أهلي استخدامها طوال هذه الفترة) غرق في التفكير شارداً، وأخيراً غفا..

***

شعر كأن أحدهم يطرق الباب سمع صوتاً ناعماً:

- افتح أنا سارية افتح الباب.

كانت تقف ممشوقة القوام شعرَ أنّها أثيرة لديه، ولم يدر كيف تلفّظ بكلامه وهو يفسح لها لتدخل:

- تفضّلي يا سارية.

- غير ملابسك سنذهب معاً. هيا.

- في الحال يا حبيبتي.

- ما أجمل الليل. يبدو القمر بدراً والبحر الآن ساكن الموج، يمتد كالمدى.

همست:

- أمسك يدي أشعر بالبرد.

- إنها ليلة حارة يا سارية، لماذا تشعرين بالبرد؟

- أشعرني بالأمان ضمني إليك.

- تعالي يا حبيبتي. بدأنا نطل على البحر.

- دعنا نستمتع بوقتنا قبل أن يطلع الفجر.

- أنا خائف عليك، قد يكتشف أحد هروبك من القصر؟

- لا تقلق من هذه الناحية خادمتي امرأة أمينة.

رأى الزورق المربوط يتمايل مع أمواج الشاطئ:

- ها هو الزورق. سنبدأ التجديف حتى نصل الجزيرة الصغيرة، حيث لا أحد هناك سوى أصداف البحر وسرطاناته..

استيقظ عمار مرعوباً:

- يا إلهي كنت أحلم. آه. كانت فتاة جميلة. مازال وجهها يتراءى في مخيلتي، أشعر أنه يسكن في قلبي أشعر أن عينيها مألوفتان، فيهما الدفء والمحبة والحنان. إنها الساعة الرابعة والنصف. سأنام من جديد يا إلهي كم كانت فتاة جميلة.

***

غفا عمار من جديد رأى نفسه مع تلك الصبية الجميلة وهي تصرخ به:

- حاول اللحاق بي يا عادل.

كانا يركضان على شاطئ البحر سرعان ما أمسك بها.

- أنت سريع الركض. فروسيتك محط إعجاب الرجال في مدينتنا.

- وأنت أميرة مدللة. معتادة على الكسل والرفاه.

- أهذه أنا؟ أهذا هو رأيك بي؟

- آه يا حبيبتي، أنت أجمل جوهرة في المملكة. أتعلمين ما الذي شدّني إليك يا سارية؟

غمغمت بدلال:

- ماذا؟

– حبّك للناس ومساعدتك لهم. وإصرارك على تحقيق العدالة ورفع الظلم عن البؤساء.

– وهو ما جعلني أتعلق بك أنت، أنت أطهر رجل في المملكة وأشد الرجال قوة مع الحق وضد الظلم.

– وهو سبب اختلافي مع أبيك.

– سامحه الله. رغم كل بطولاتك في الذود عن حياض البلاد، وشجاعتك الكبيرة إبان القتال لم ينصفك في محبتك لي.

– وضع ثمناً لرأسي، وطلب مني الابتعاد عنك.

سمعا وقع حوافر الجياد كانت هناك مفرزة من الفرسان ينطلقون بخيولهم في اتجاههما:

– أخاف أن يرونا.

– لنلجأ إلى هذه الصخرة.

– لم نبحر اليوم إلى الجزيرة؟

– الزورق يحتاج لإصلاح يبدو أن يداً مخربة عبثت به.

– لقد ابتعدوا. بدأ ضوء الفجر يظهر. يجب أن أعود إلى القصر.

– سأرافقك قليلاً. انتبهي لنفسك يا حبيبتي.

***

صحا من نومه وهو يختلج:

– نفس الفتاة الجميلة. ما هذا الحلم الغريب؟ سأسجّله في يومياتي. اسمها سارية واسمي (عادل) عجيب. بدأ نور النهار يظهر.

خرج عمار منذ الصباح إلى شاطئ البحر يتأمله بعمق:

– هنا رأيتها. كانت تتمشى على الشاطئ تنتظرني، من هنا أخذنا الزورق

نحو الجزيرة. هل هي جزيرة موجودة فعلاً؟

لم ير شيئاً. لماذا لا يجرب الإبحار في هذا الاتجاه قد يعثر على الجزيرة.

استأجر زورقاً وأبحر في الاتجاه الذي اعتقده صحيحاً. كان البحر هادئ الموج ولم يطل به الوقت حتّى عثر على الجزيرة الصغيرة. كانت جزيرة تكثر فيها أصداف البحر وتتكسر الأمواج فوق صخورها الصلبة ناتئة الحواف، وتنتشر فوقها قنافذ البحر بكميات كبيرة.

وتكرر الحلم واتخذ منحى آخر في الليلة التالية، حدّث نفسه قبل أن ينام:

– إنها الثانية والنصف صباحاً. هل سأرى حلماً اليوم؟ أتمنى لو أرى تلك الفتاة الجميلة كانت أحلاماً ممتعة أمس.

تنهد وقد أسند رأسه على الوسادة. وغرق في النوم.

رأى نفسه على شاطئ البحر وسمع صوت سارية الحزين خلفه كانت خائفة.

– جئت أودعك، لقد زاد والدي المبلغ الذي وضعه ثمناً لرأسك بعدما وصلته قصائدك عني.

– أنا أختبئ جيداً لا تقلقي.

– كثر طلاب الجائزة، إنهم ينشطون بحثاً عنك، وأنا خائفة أن يكون بعضهم يقتفي أثري محاولاً الوصول إليك.

– هيا إلى الزورق تعالي. لقد أصلحته.

كانت حزينة قلقة:

– أصبحت تلك الجزيرة برّ أمان بالنسبة لنا، رغم صخورها الناتئة.

– آه ما أقسى البعد يا سارية.

– وماذا نفعل؟ كل شيء ضدنا.

انفجرت تبكي، ضمّها إليه بحنان وقلبه يختلج:

- لا تقطّعي قلبي ببكائك.

كانت دموعها تسيل بصمت.

***

استيقظ عمار متعباً – كان حلماً جميلاً. من هي تلك الفتاة التي اقتحمت أحلامه هكذا؟ شعر أنّه متعلق بها. "هل أصبحت مراهقاً أتعلق بفتاة تنسج صورتها أحلامي؟ أنا الذي أحمل شهادة في أكثر العلوم منطقية وهي الرياضيات؟ كيف؟ سأعد القهوة، إنها السادسة صباحاً."

انتبه على صوت أخته تنقر الباب:

- عمار. أنت مستيقظ؟
- استيقظت لتوي.
- سأعد القهوة.

همهم : – فكرة جيدة.

تأملها وهي تمشي. كم يشعر بالشفقة عليها، إنّها أحب أخواته إليه، ولكن رجلها القصيرة التي جعلتها تعرج، أثّرت عليها كثيراً، كان خائفاً من شعورها بالعقدة من إصابتها تلك، رغم أنها قد تكون زوجة مثالية لمن يتزوجها.

عادت بالقهوة وابتسامتها تملأ وجهها:

- لماذا استيقظت مبكراً؟
- لا أدري، ربما لأنني حلمت وعطل عليّ الحلم محاولة النوم من جديد.
- كان حلماً جميلاً؟
- يعني. إنه غريب.
- لماذا؟ احك لي هذا الحلم. سأرى مدى غرابته.
- ليس مترابطاً تماماً، أميرة جميلة تحب رجلاً من العامة ويحبها. إنّه شاعر

جريء. وضع والدها مكافأة مجزية لمن يقبض عليه.

- وهل قبضوا عليه؟

- لا أدري. استيقظت قبل ذلك.

- أنت منشغل بقراءة القصص، من الطبيعي أن ترى مثل هذه الأحلام.

- ربما.

- سيأتي شخص لزيارتنا اليوم هو ووالدته. إنه شاب يعمل في المرفأ، دخله لا بأس به. عنده منزل مستقل، تبدو أمه طيبة جداً.

- ماذا هل تقولين الصدق؟ أتعرفين هذا الشاب؟

- نعم، عن طريق أخته، معرفة سطحية.

- يا حبيبتي. أتعلمين كنت أفكر فيك قبل قليل، وكنت خائفاً أن..

- أن يفوتني القطار؟ لست متقدمة في السن يا عمار.

- في الخامسة والعشرين، طبعاً ما تزالين صغيرة، ولكن كنت..

- تفكر برجلي العرجاء، اطمئن أخبرته كل شيء عني وعن أهلي إنه شاب جيد.

- ألف مبارك لكِ.

كان سعيداً، لدرجة لا تصدق، سعادته تلك أنسته أميرة الحلم. انشغل بخطبة أخته في ذلك اليوم. ولم يذهب للنزهة على شاطئ البحر كعادته، وفي تلك الليلة حلم من جديد أيضاً. ولكنه كان حلماً مختلفاً.

***

كان وسارية على شاطئ البحر، وكانت ممددة قربه.

- عادل، أنا خائفة عليك، أرجوك ابتعد لبعض الوقت عن المنطقة.

- كيف؟ لا أستطيع الابتعاد عنك، أحلم بلقائك كل يوم.

تشبثت به دامعة:

- أنا خائفة.

ولم يطل بهما الوقت فلقد أحاط بهما الفرسان فجأة، بأعداد كبيرة صرخت سارية:

- ويلي. إننا محاصران.

اندفع الجنود نحوه بدأ يقاومهم بقوة. صرخت سارية متوسلة:

- عادل.. أرجوك اهرب سيقتلونك.

- ماذا تقولين يا سارية؟ لن أهرب ولن أستسلم أبداً.

- إنهم كثيرون سيقتلونك.

- حاصروه جيداً، مولانا يريده حياً.

ولم تجدِ المقاومة أمام الأعداد الكبيرة، حاصروه وقبضوا عليه وسط بكاء سارية الهستيري.

***

صحا عمار من نومه:

- يا إلهي. ما هذا الحلم العجيب؟ يبدو كأنّه تتمة للأحلام السابقة.

كأن سارية حيّة أمامه، ما زال يسمع صراخها وبكاءها.

فتحت أخته الباب:

- عمار. أنت بخير؟

- نعم ادخلي.

- سمعت صراخك، كان كابوساً.

- نعم لا تقلقي أنا بخير.

- ألن تتابع نومك؟ مازال الوقت مبكراً، إنها الرابعة صباحاً.

- سأتابع نومي، أنا متعب فعلاً.
- تمدّد على جنبك الأيمن، ولا تتمدد على ظهرك.
- طيب، تصبحين على خير.

كان يشعر بقلق خفي، كأنّه خائف من أن يحلم من جديد. أطبق عليه النعاس.

رأى نفسه وجهاً لوجه أمام الملك:

- أيها الوغد، أتجرؤ على لقائها من جديد؟

كانت سارية تبكي:

- أبي أرجوك، اتركه يذهب، لن ألقاه ثانية.
- أبعدوها عنه، خذوها إلى جناحها.

ابتعدت وهي تصرخ وتبكي وتنادي والدها أن يرحم حبيبها:

- اجلدوه بالسوط حتى يتفجر الدم من صدره وظهره. أريد أن يتعذب ويتألم وأسمع صراخه.

قال عادل بهدوء:

- لن تسمع مني صرخة ألم. تعرفني جيداً، في كل منطقة من جسمي طعنة رمح أو ضربة سيف، لست ممن يستسلمون إن أردت الفوز عليّ اقتلني.
- تابعوا جلده بالسياط هيا.

سأعذبك عذاباً ينسيك الحليب الذي رضعته من أمك.

***

صحا عمار مرعوباً. "لا يمكن أن تكون هذه أضغاث أحلام، مستحيل، يجب أن يستشير طبيباً هذا غير معقول.""

تأمله الطبيب بعمق:

– حالة غريبة فعلاً. لن أستطيع إعطاء رأيي بها الآن سأدرسها جيداً.

– الذي أعرفه أن الاستبصار بالحلم يكون عن أحداث ستقع، أما أن أرى أحلاماً عن حياة ماضية، تفصلنا عنها ربّما مئات السنين، فهذا غير مفهوم فعلاً.

– على كل حال سأعطيك بعض الحبوب المهدئة للأعصاب، تتناولها وتنام وأعتقد أن تلك الأحلام لن تعود إليك.

– بدت في البداية مسلية، خاصة وأن (سارية) جميلة فعلاً، كنت معها نتبادل حبنا على شاطئ البحر، ولكن بعد أن قبض عليّ في الحلم، صرت أشعر بلسع السياط ينهال على صدري وظهري. ما أزال أتألم منها فعلاً.

– خذ الحبوب المهدئة، وأعتقد أنك لن تحلم بعدها، لا تكثر من عزلتك يا دكتور عمار، العزلة تشجع على الحلم.

– ولكني أشعر براحة كبيرة حين أتمشى وحيداً على شاطئ البحر.

– حاول أن تخفف من ذلك لبعض الوقت، على الأقل حتى أستطيع أن أفسر هذه الظاهرة.

– طيب، سأتقيد بما تقول.

***

قضى عمار ساعات في الغرفة يقرأ أو يفكر، حتى قطعت عليه أخته تفكيره واقتادته بيده هامسة:

– ما رأيك بتلك الفتاة، سأعرفك عليها.

همس متوسلاً:

– لست في مزاج مناسب، أرجوك أجّلي الموضوع قليلاً.

أصرّت:

- لماذا؟ يجب أن تعيد ابتسامتك إلى وجهك، منذ أن قدمت إلينا، وأنت معكر المزاج، مهمومٌ، قلقٌ، لن أتركك هكذا أبداً.

- أرجوك يا أختي، أنا متعب.

- سايرني قليلاً يا أخي أرجوك.

- أمري لله.

أشارت لفتاة مليحة الوجه تجلس في ركن الصالة مع بضع فتيات.

- تعالي يا صفاء. هذا هو أخي الدكتور عمار، حدثتك عنه من قبل.

- أهلاً وسهلاً يا دكتور.

- أهلاً بك.

- ابنة عمي طالبة عندك، تمدحك كثيراً.

تركتهما وهي تقول:

- عن إذنكما، سأغيب لدقائق.

سألته الفتاة:

- تبدو مهموماً.

- أشعر بصداع، أنا آسف.

- لا بأس يمكنك الذهاب. قد نلتقي في مناسبة أخرى.

كأنما فرج عنه:

- إن شاء الله.

دخل الغرفة هارباً من أسئلة كثيرة تزاحمت في رأسه ثم تناول حبة من الحبوب التي وصفها له الطبيب، وشرد بعيداً:

"آه. أشعر بتعب شديد. الصور تختلط في ذهني. أرى خيولاً تجري. شاباً يضرب بالسوط. فتاة تبكي. أسواراً لمدينة عالية فوق جبل. آه. رأسي يؤلمني.

كأنني أخوض بحراً عميقاً. آه. أشعر أنني أغرق. الماء يغمرني."
صحا خائفاً كان الوقت متأخراً:

– آه يا إلهي. كأن تلك الحبّة التي تناولتها أصابتني بنوع من الهلوسة لن أتناول منها مرة ثانية.

نظر إلى الساعة كانت العاشرة صباحاً. نادى عفاف أخته أتت ملهوفة:

– استيقظت أخيراً. سأعد لك القهوة.

– لا داعي سأذهب لزيارة صديق تأخرت عليه.

ذهب عمار إلى الطبيب وأخبره أن الحبوب سببت له نوعاً من الهلوسة. فطلب منه الطبيب زيادة الكمية وهو يؤكد عليه أن المشكلة ستحل قريباً، فهو يبحث في كتب علم النفس عن مثل هذه الحالة.

عاد عمار إلى البيت، وبعد الظهر خرج يتمشى على شاطئ البحر وحيداً. وانتقل به الخيال فجأة إلى ما رآه في الحلم. بدت له المناطق التي حوله، شبيهة تماماً بالمناطق التي يراها في الحلم وعاودته صورة سارية فخفق قلبه. وفي تلك الليلة حلم أيضاً، كان حلماً مرعباً:

– لا تتعب نفسك أيها الملك لن أستسلم.

– نفذوا ما أمرتكم به، أحضروا بنّاء وحجارة.

– في الحال يا مولاي.

– سأبني حولك جداراً أسطوانياً في وسط باحة السجن ولن ترى النور بعدها. هيا اصلبوه إلى ذلك العمود، وثبتوا في يديه خشبة متطاولة تتقاطع مع العمود.

كان الملك يصرخ بغضب:

– سترى ما سنفعله بك ستسمع صرخات توسلاتك من مسافات بعيدة، ولكن

الجدار الصلب الذي سأبنيه حولك سيكتمها وسيكتم أنفاسك.
أتت عجوز تبدو عليها الطيبة خاطبت الملك:
- ماذا تفعل يا بني؟
أجابها وهو يضحك:
- أبني حول هذا الوغد جداراً من الحجر.
توسلت إليه:
- ابنتك ستقتل نفسها، إنك تعذبها. أطلق هذا الشاب ستكسب ابنتك.
ردد غاضباً صارماً:
- أماه، لا تتدخلي في هذا الأمر. تابعوا البناء بسرعة.
جمعوا الحجارة والطين ينفذون أمر الملك، كان يتمتم والبناء يرتفع حوله:
(ليتني ألقي عليها النظرة الأخيرة..)
شعر بالاختناق وغامت عيناه ونفسه يضيق.

***

استيقظ أخيراً وهو يصرخ:
- يا إلهي، ما هذا الكابوس؟ آه.
حضرت عفاف:
- عمار. أخي ماذا جرى لك؟
- إنه كابوس.
- ما الذي يحدث لك في هذه الأيام، تبدو متعباً قلقاً مهموماً، أحلامك مزعجة، وبصرك زائغ وشرودك مستمر طوال الوقت. هل تعاني من مشكلة يا أخي؟
- لا، لا تقلقي. اذهبي للنوم سنتحادث في الأمر غداً.

– قلبي عليك، ألا تريد شيئاً مني؟

– لا، أنا بخير.

فكر حزيناً متعباً:

(كأنني أرى الجدار الأسطواني يرتفع حولي.. آه.. يا إلهي)

وحين نام عمار تلك الليلة، حلم أن سارية أتت إليه. أخذته من يده وسارت به في طريق الشاطئ ثم امتطت وإياه حصاناً قادهما إلى قلعة قديمة في جبل يطل على الشاطئ، أدخلته القلعة القديمة وأوصلته إلى ساحة وجد في وسطها عموداً ضخماً من الحجارة المبنية بشكل أسطواني. طلبت منه هدمه. فمد يده يتناول مطرقة ضخمة وبدأ ينهال بها على العمود الضخم والشرر ينطلق منها ثم استيقظ وجسمه يرتجف:

– سبحان الله، ما هذا؟ مازال الطريق الذي سلكته يبدو واضحاً أمامي، سأكتب تفاصيل الحلم قبل أن أنساه.

وكتب بالتفصيل كل شيء، بدا كأنه حياً نابضاً في ذاكرته.

ذهب عمار إلى الطبيب مبكراً، كان حائراً قلقاً، وأصر عليه أن يرافقه في طريق بدا له مرسوماً في ذاكرته:

– توقفنا هنا. امتطينا الحصان الذي صعد بنا. يا إلهي نفس المنظر الذي رأيته في الحلم.

– هيا إذن، اسلك نفس الطريق.

كان يتكلم كمن يتذكر:

– هناك قمة عالية، ثم قلعة قديمة، ها هي القمة. لا أرى القلعة القديمة.

– ربما في الجانب الآخر قد نستطيع رؤيتها.

– لا تظهر أبداً، دعنا نتسلق القمة أولاً.

تسلقا الجبل كان الطريق وعراً طويلاً متعباً، وصلا القمة، بدا الطبيب متردداً عن المتابعة:

- أرجوك يا دكتور يجب أن أنهي هذه المسألة أنا متعب تماماً.

- لا بأس، تابع طريقك.

وصلا منطقة أثرية:

- هنا مكان القلعة، نعم. تبدو منطقة خرائب، ما هذا؟ كأنني أرى العمود المبني بشكل أسطواني من الحجر، نعم، إنه هنا، ولكنه محاط بالأتربة والحجارة، سأحضر بعض الفلاحين لمساعدتي.

- يجب استشارة مديرية الآثار أولاً، ما يحدث غير مقنع أبداً.

- لن نفعل شيئاً سوى إظهار هذا العمود فقط.

غاب الدكتور عمار حوالي الساعة والطبيب ينتظر على أحر من الجمر وحضر ومعه بعض الفلاحين:

- بهدوء أرجوكم.

أخذوا يحفرون في المنطقة التي أشار إليها وفجأة بدا العمود جيداً وهم يتابعون تنظيف ما حوله.

- أظن أن هذا يكفي. سنهدم الآن هذه الحجارة التي تشكل العمود الأسطواني.

سأله أحدهم:

- لماذا؟ أليس هذا ممنوعاً؟

- سأعطيكم ما تشاؤون من المال الآن، لسنا نخالف القانون سأفسر لكم الأمر. أرجوكم ابدأوا الهدم، تابعوا، اهدموا الحجارة كلها.

واقشعر بدنه وقد رأى ما داخل عمود الحجارة، كان هيكلاً عظمياً مقيداً

بالسلاسل سأله الطبيب:

- أهذا ما كنت تبحث عنه؟

- نعم.

همس الطبيب:

- وماذا سنفعل الآن؟

- سنرفع العظام وندفنها في قبر نحفره جميعاً.

سأله أحدهم:

- وكيف عرفت أن بقايا هذه الجثة موجودة داخل العمود الضخم؟

- لقد قرأت شيئاً عن ذلك. لنتعاون معاً، سندفنه في قبر تحت تلك الشجرة.

بعد أن دفن الهيكل العظمي. رأى عمار في الحلم كأن سارية زارته لتشكره على دفن حبيبها، الذي تقمص شخصيته في الحلم لبعض الوقت. واختفت أحلامه بعد ذلك، أحلامه بالجنود والسياط والحبيبة الهاربة ومازال القبر موجوداً تحت الشجرة، وعلى بعد أمتار منه حجارة مهدّمة لعمود ضخم كان قبراً لحبيب أخلص لحبيبته حتى الموت، وزار طيفها الدكتور عمار في الحلم يطلب منه دفن المصلوب منذ مئات السنين.

ولكن كيف أتت تلك الأحلام؟ لم يفسرها الطبيب النفسي حتى الآن ومازال يبحث عن السر، وإن خمّن الدكتور عمار أن نومه في تلك الغرفة القديمة له علاقة بالمكان الذي كان يقيم به عادل الشاعر الفارس المطارد الذي أخلص في حبه لسارية. إنه نوع غريب من حالات الأحلام النادرة؟ رغم أن عمار يحلم كثيراً هذه الأيام بعد أن تزوج قبل عامين وأنجبت زوجته طفلة أطلق عليها اسم سارية، فإن أحلامه لم تعد مهمة، كذلك الحلم العجيب الذي لم يستطع أحد تفسيره حتى الآن.

6- التحليق خارج الجسد:

من المعلوم أن قضية التنبؤ والاستبصار ورؤية الحوادث قبل وقوعها جزء صغير من قدرات الإنسان الخارقة.. ونماذج الناس الذين يملكون تلك القدرات بدأت تشغل الباحثين في السنوات الأخيرة.. حتى أن التجارب تجري على التخاطر عن بعد واستخدامه في الأبحاث الفضائية..

قبل أقل من قرن صرح العالم الروسي الكبير (تسيلكوفسكي)، متنبئاً بالاهتمام بالتخاطر في عصر الأسفار الفضائية: "ستظهر الحاجة بوجه خاص إلى الملكات التخاطرية، وسوف تساهم هذه الملكات في تقدم الإنسانية ونجاحها في السفر عبر الكون الفسيح.."

كثيراً ما تجري تجارب هامة على التخاطر.. ولكن بعض الناس يستعصون على مثل هذه التجارب وإبان تواجدي في الهند.. حدثت لي بعض الحوادث التي تؤكّد على أنّ من يستخدم دماغه بشكل مركّز لا يقع بسهولة في فخ من يحاول التأثير عليه..

تعود معرفتي بـ (أوم بركاش سنغ) في أوائل الثمانينات.. ففي يوم من أيام حزيران الحارة، كنت أتمشى في (كانات بليس) أكبر سوق في دلهي.. استوقفني رجل مسنّ بلحية بيضاء وعمامة ملفوفة جيداً على عادة السيخ..

– أنت شاب لديك طموحات عديدة، يأتي إليك مال كثير في حياتك، ولكنك لا تحب الاحتفاظ به..

– استوقفتني لتقول لي مثل هذا الكلام، هل أنت منجّم تقرأ الطالع؟

قال وهو يتفرّس بي:

– تعذبت كثيراً في حياتك كثيراً.. ولكنك شاب عنيد، قهرت صعاباً عديدة وصمدت في وجه ظروف بالغة التعقيد.. اسمع ستزور بلداناً كثيرة .. في

الشهر القادم ستزور بلداً أوربياً وتتعرف على شخصية تصبح لها أهمية في حياتك..

حكى لي (أوم بركاش سنغ) أشياء كثيرة، وتنبأ بأحداث سأمر بها.. ولم أكن في ذلك الوقت ألقي بالاً لمثل هذه الأمور، إن ما شدّني إليه قدرته على قراءة الأفكار.. وكنت مقتنعاً أن القدرة على قراءة الأفكار ومعرفة خبايا النفس عن طريق متابعة الذهن وومضاته.. أصبحت في هذا العصر علماً قائماً بذاته..

حاولت أن أضلل معلوماته فحصرت تفكيري في قضية معينة، وهو يحدق بي بصمت وأنا أستجّره لمعرفة المزيد من أفكاري، ولكنه بعد لحظات اعترف أنني شخص صعب..

وأخذ (أوم بركاش سنغ) يحكي لي عن أشياء كثيرة كان يفعلها، كان بإمكانه أن يقرأ أي شيء يجول في ذهن يختبره، وإن السّياح يقصدونه لاختبار مقدرته وكان يبث من ذهنه أحياناً أوامر صغيرة يفعلها السائح دون انتباه، قبل أن يفاجئه بأنه يعرفها تماماً..

وهكذا تعرفت عليه جيداً وزرته في منزله عدة مرّات.. وحين تهيّأت لمغادرة الهند بعد أن أنهيت دراستي.. ذهبت إليه أودّعه وكان قد مضى على آخر لقاء لي معه عدّة أشهر.. بحثت عنه في المكان الذي يتواجد فيه عادة في سوق (الكانات بليس) فلم أجده.. فيممت صوب منزله الذي لم يكن يبعد كثيراً عن السوق..

فتحت لي ابنته الباب وحين عرفتني بشّت في وجهي.. ثم قالت متمتمة:

– أرجو أن يكون مجيئك مفيداً لإخراج أبي من عزلته.. هو لا يقابل أحداً.. سأرى إن كان سيوافق على لقائك.. أعرف كم يكنّ لك من احترام..

أجلستني في الصالة الواسعة ثمّ غابت لعدّة دقائق قبل أن تعود مبتسمة:

– تفضل يا سيدي.. والدي سيستقبلك ..

– تبدين فرحة؟

– فعلاً، إنها أول مرة يبدو فيها مهتماً للقاء شخص منذ ثلاثة أشهر..

قلت لـه: – لم أرغب بمغادرة الهند قبل أن أراك.. خفت أن تكون صحتك على غير ما يرام..

بدت لي ابنتك قلقة عليك.. تعتبر أن انزواءك كان قاسياً على الأسرة..

– هم لا يفهمون ما أعمل، أقصد أولادي وزوجتي.. منذ سنوات وأنا أؤجل تمريناتي ولكنني قبل أشهر اقتنعت أن علي البدء بها.. لم يبق في العمر ما يكفي..

ثمّ تفرّس بي وهو يقول: – أنت شاب طموح سريع الفهم.. سأحكي لك قصتي الغريبة..

منذ زمن بعيد وأنا أحاول السيطرة على نفسي والدخول في حالة من (الليتارجيا) أي السبات غير الطبيعي.. والقدرة على التخشب بلا حراك كالجثة الميتة..

– أعتقد أن مثل هذه الحالات تحتاج لتدريب غير عادي..

– منذ أن كنت في العشرين وأنا أتدرب.. استطعت الوصول إلى نتائج لابأس بها.. ولكن الآن الوضع يختلف.. أنا متقدم في السن..

ثمّ تنهّد وهو يتابع حديثه:

– هذا لا يهم.. منذ أشهر وأنا أحاول الانفلات من جسدي تماماً والخروج إلى أي مكان.. بكامل حواسي، في حين يبقى جسمي هامداً بلا حركة..

قلت لابنتي منذ شهرين: جهزي لي طعاماً لعشرة أيام.. سأنزوي أتعبّد في غرفتي ولا أريد أن يزعجني أحدٌ، أو يقطع عليّ خلوتي بأي شكل.. وحالما

تنتهي العشرة أيام.. لابأس باقتحام غرفتي إذا لم أفتحها بنفسي.. وهكذا سهرت مع زوجتي وأولادي سهرة عائلية، أسبغت فيها عاطفتي على الجميع وأقنعتهم أنني بصحة جيدة وأن كل شيء على ما يرام.. ثم دخلت في صومعتي..

– لتنزوي محاولاً أن تتمرن بهدوء على (الليتارجيا)؟

– نعم.. تمكنت من الخروج من جسدي والدوران والتجول في أماكن عديدة من العالم.. لمدة تسعة أيام كاملة قبل أن أعود وقد قرعت عليّ ابنتي الباب.. نهضت بصعوبة في هذا الجسد المتهالك.. وعدت إلى وعيي سريعاً حيث فتحت الباب وكنت متعباً أحس بدوار شديد.. وسببت الخوف للجميع.. خاصة وأنهم وجدوا طعامي لم يمس تقريباً.. ولكنني سرعان ماعدت لمرحي وحكاياتي التي يحبها أولادي.. فاطمأنوا جميعاً أنني بخير..

– وماذا رأيت خلال تلك الفترة الطويلة ؟

– كنت سعيداً وأنا أبصر جسدي أمامي ممدداً على السرير.. وسرعان ما اخترقت الجدران وخرجت من بيتي، أنني أطير في حلم جميل دون أن أحس بالحرّ أو بالضوء المنتشر حولي..

رأيت المنبوذين ينتشرون على أرصفة محطات السكك الحديدية يطاردون الناس من أجل لقمة تسدّ أودهم.. آه.. أحد الناس ينهال بسوطه على أحدهم.. نسر ضخم ينقضّ على أرنب يحمله بمخالبه والأرنب يتخبط.. لماذا يتجمع الناس هنا؟ إنها مشاجرة.. كنت أشعر أنني أندفع في الجو بسرعة خارقة.. رأيت باخرة تجنح نحو جزيرة صخرية تدفعها الأمواج.. أقمار صناعية.. أسلحة مخيفة تخبّأ.. لماذا لا يحب الناس بعضهم؟. لماذا يتقاتلون من أجل تفاهات يمكن الاستغناء عنها؟.. آه يا صديقي كنت أتعذب وأنا

أنتقل من مكان لآخر.. أرى الأمور على حقيقتها وأحسّ بتفاهة بعض البشر..

– كأنك كنت تشهد كابوساً؟

– لم يكن حلماً كان حقيقة تبدّت لي بكل بشاعتها.. ورغم جولتي السريعة فقد شهدت مجموعة من الناس في جزيرة نائية، أحسست أنهم يختلفون عن غيرهم بسلوكهم الطيب وتعاونهم.. ولكن لم أتمكن من النفوذ بينهم.. فقد أيقظني القرع المتواصل على الباب..

– أرأيت كل هذه الأشياء؟

– كان الزمن يمر عليّ بسرعة خارقة، كأن كل تجربتي لم تستغرق سوى دقائق.. هكذا اعتقدت..

– كانت تجربة فريدة أثرت فيك تأثيراً كبيراً.. هل هي أول مرة تقوم بها؟

– في المرات الماضية كان استعدادي ضئيلاً لم أكن أشعر بالوقت يمضي بتلك السرعة.. تلك المرات السابقة كانت كالحلم.. آه يا صديقي.. كل تجاربي خلال فترة حياتي الطويلة وأنا في عقدي التاسع.. لم أحلم أن أصل في تدريباتي على اليوغا.. إلى هذه المرحلة.. وأنا سعيد بذلك..

– هل تفكّر بإعادة التجربة لزمن أطول؟

– نعم.. سأدخل في التجربة لثلاثة أسابيع.. ولن أدع أحداً يقاطعها.. لم أشعر بالوقت يمر في تجربتي السابقة.. رغم أنها استغرقت تسعة أيام..

قلت له وأنا أحدّق في وجهه المتعب:

– ألا تعتقد أن ذلك يشكل خطراً على حياتك؟

ردّ ضاحكاً: – وماذا تبّقى لي من الحياة وأنا رجل عجوز متقدم في السن.. أعتقد أنني سأنجح.. وسأحقق رقماً قياسياً في الخروج من الجسد..

نظر لي فجأة مستفهماً:
– متى ستغادر الهند؟
– أنا أجهّز نفسي.. ربّما خلال أيّام..
هزّ رأسه منزعجاً:
– اعتقدت أنّك ستشهد نهاية تجربتي.. تعرف كم أكنّ لك من ودّ؟
سألته: – ولكن متى ستبدأ هذه التجربة؟
أطرق شارداً: – بعد غد.. خطرت لي قبل قليل فكرة أن ألقاك بعد نهايتها.. أتعلم؟ أشعر بالراحة وأنا أتحدث إليك، أنت تفهمني جيداً، وتفهم أن الإنسان يتمتع بقدرات خارقة لا يستثمر سوى جزء ضئيل منها..
قلت له جادّاً: – أستطيع أن أؤجل سفري عدة أيّام لأنهي بعض الأعمال التي أجّلتها لوقت آخر.. تعلم كم أنا متعلّق بأسرار هذه البلاد؟
أشرق وجهه: – ستكون فرصة نادرة أن تشهد تجربتي الخارقة..
شددت على يديه: – أتمنى لك التوفيق، وأرجو أن أراك في أتم صحّة بعد نجاح تجربتك..
نهضت مودّعاً فاستوقفني: – يجب أن تقنع عائلتي بعزلتي القادمة..
وهكذا تحدّثت مع أفراد أسرته وبالهنديّة التي أتقنها أقنعت الجميع بأنّ الرجل المسنّ (أوم بركاش سنغ) سينعزل من جديد لثلاثة أسابيع، وأن هذا الانعزال سيكون الأخير ولا داعي للقلق عليه.. فهو لا يريد أحداً أن يزعجه لأي سبب كان..
أدهشني ذلك الرجل المسنّ بتصميمه على اختبار قدرات الجسم البشري.. أمعقول أن يتمكّن (أوم بركاش سنغ) من إخراج طاقته الحيويّة من جسمه، لينتقل فيها بحريّة من مكان إلى آخر دون أن ينهكه ثقل جسده المتهالك ؟

كنت مبهوراً من تجربته وقد كان يشرحها لي بحماس فائق:
- لا تتصوّر كم هي مدهشة تلك الحريّة التي تتمتّع بها وأنت دون قيود.. درت على أمكنة كثيرة.. شهدت أحداثاً مرعبة: انفجار طائرة في الجوّ.. خروج قطار عن سكّته.. قتال شرس بين مجموعات من الجنود المدجّجين بالسلاح، وجماهير عزلاء تقاوم، حتّى بأيديها وأظافرها وكلّ ما يتوفّر لديها، أولئك الجنود القساة..
ومضى يصف لي مشاعره من أولئك الذين يمتهنون كرامة الإنسان.. وقد شهد في تجواله الفريد بعضاً من أفعالهم المشينة:
- لم أصدّق نفسي وأنا أرى ما يفعله هؤلاء.. ليسوا بشراً بالتأكيد.. كلّ ما يريدونه هو المتعة حتّى في أخسّ أوضاعها البهيميّة..
خرجت من منزله وذهني غارق بالتفكير بما حكاه لي.. هل كان يحلم؟ أم أنّ ما رآه كان حقيقياً؟
تركت (أوم بركاش سنغ) وهو يستعدّ للقيام بتجربته التي كانت فريدة في طولها.. وتزود بالطعام والشراب حتى لا يلفت نظر من حوله.. وليظهر أن عزلته عادية تماماً.. يتناول فيها الطعام والشراب على الطريقة الهندية، أي طعام خفيف غير دسم وماء..
انشغلت بعدها في لقاءاتي مع المثقّفين والكتّاب الهنود، الذين ربطتني ببعضهم صداقات مازالت مستمرّة، وبعد عدّة أيّام خطر لي أن أزور منزل صديقي المسنّ.. لأطّلع على ما وصلت إليه تجربته.. وهكذا اتّجهت صوب منزله القريب من (الكانات بليس).. طرقت الباب ففتحت لي ابنته وابتسمت في وجهي مرحّبة.. وقبل أن أسألها عن والدها قالت لي:
- والدي منعزل في غرفته وقد منعنا من إزعاجه لأي سبب كان..

- منذ متى بدأت عزلته؟

- منذ عشرة أيام بالضبط..

- حسناً.. شكراً لك، سأعود في وقت آخر..

وأتت والدتها ثمّ أتى أخوها وبدأ ثلاثتهم يلحّون عليّ للدخول وتناول الشاي والمرطبات، وقد شعرت أنّهم يرغبون في طرح بعض الأسئلة عليّ حول عزلة الرجل المسنّ.. ولكنّي اعتذرت على أن أعود بعد أيّام.. وقد خفت أن أحكي شيئاً لا يرغب المسنّ أن أحكيه..

***

آه.. من تصاريف القدر.. عدت للانشغال بأعمالي المتراكمة التي حاولت إنجازها قبل سفري ولم أتذكّر صديقي (أوم بركاش سنغ) إلاّ بعد اثني عشر يوماً.. فاتّجهت ملهوفاً إلى بيته قرب السوق..

كنت أعتبر أن تلك التجربة الفريدة التي يقوم بها، هامة جداً لدرجة جعلتني متلهّفاً لمعرفة نتيجتها.. وكنت جمهورها الرئيسي ومراقبها والعالم بخفاياها..

طرقت باب منزل (أوم بركاش) وقلبي يخفق بعنف.. فتحت لي ابنته الباب.. وقالت لي بخوف:

- آسفة يا دكتور مازال والدي في عزلته..

- لم يستيقظ؟

- إنه منعزل وليس نائماً؟

- ما عدد الأيّام التي قضاها في عزلته؟

- هذا هو اليوم الثاني والعشرون..

قلت واجفاً: - متأكّدة؟

هزّت رأسها بالإيجاب: - نعم متأكّدة.. أنا أحصي ذلك بدقّة.. اشتقت لأبي

كثيراً.. لي علاقة خاصّة معه.. بصراحة أطال هذه المرّة عزلته..
قلت لها وأنا أرتجف من الخوف: - اسمعي يا آنسة يجب أن أدخل.. والدك في خطر..
- أرجوك يا دكتور.. كما قلت لك منع الدخول إليه لأي سبب كان.. تعلم أن غرفته منعزلة عن البيت وهو غارق في عبادته.. لماذا هو في خطر؟
ثمّ انتبهت فجأة مستشعرة أنّ خطراً حقيقيّاً يتعرّض له والدها بالفعل:
- ماذا تقول؟
- إنه في خطر صدقيني..
كان الباب مغلقاً من الداخل.. يجب تحطيم الباب.. ودون أن أنتظر السماح لي بذلك ألقيت ثقلي عليه فانفتح.. كان المسنّ ممدداً على السرير دون حركة.. انفجرت الفتاة باكية.. وحضرت والدتها التي كانت في الدار أيضاً.. تلقّت الخبر بدموع صامتة.. وضمّت رأس الزوج الميّت وهي تصلّي صلاتها الخاصّة.. ثمّ تمتمت وهي ترمق صينيّة الطعام والشراب:
- يا إلهي طعامه لم يمس.. يبدو أنه لم يذق طعاماً ولا شراباً منذ ايام طويلة..
شعرت بالأسى على موت صديقي (أوم بركاش سنغ).. يبدو أن المدة التي قضاها في سباته الطويل كانت أطول من اللازم..
كان (أوم بركاش) رجلاً خارقاً، ربما من أكثر الرجال الذين قابلتهم غرابة.. من يعرف ماذا حصل له خلال تجربته؟ الذي أعرفه ومتأكد منه، هو أنه خاطبني.. تخاطرياً.. دون أن أراه.. وهو يؤكد لي أنه يتجول طليقاً في العالم دون قيود.. هل كانت زياراته لي المتكرّرة في الحلم بعد وفاته حقيقية.. أم أنني لكثرة ما شغلني بتجربته، كنت أتخيل ذلك؟ كم هي محيّرة الإجابة عن

تلك التساؤلات؟

كان (أوم بركاش سنغ) متميزاً في التخاطر وقراءة الأفكار ثم في الليتارجيا أي السقوط في السبات العميق إلى درجة التخشب..

لقد أصبحت دراسة اليوغا.. والقدرات الخارقة لدى الإنسان مهمة لكثير من الباحثين.. في معظم دول العالم..

وقد تمكن العلماء من التوصل لطريقة لبث الأرقام بين دماغين.. وذلك في فبراير – شباط 1968 لأوّل مرّة.. حيث عرض العالم الروسي (فلاديمير فيدلمان) طريقة لبث الأرقام بين دماغين وأمام جمهور كبير في مؤتمر (الباراسيكولوجيا) أكد فيها أن باستطاعة أي شخص أن يبلّغ رقماً ما إلى آخر.. وقد قبل فيدلمان كل من عرض نفسه ليطبق عليه طريقة الإيحاء بالتركيز تلك.. وتوصّل إلى نتائج مشجعة بالطبع.. وتراوح زمن تبليغ الرقم بين عشر ثوان ودقيقة ونصف، حيث يشاهد المرسل على شاشة إلكترونية الرقم المطلوب وهو يومض بانتظام حتى يستقر نهائياً في ذهنه ويتلقى الدماغ الآخر هذا الرقم ببساطة..

وحتى الآن تُجرى مثل هذه التجارب وهي تجارب نجحت بنسب كبيرة.. بل وأصبحت عادية تماماً.. فالذي فعله (فيدلمان) هو تجربة بسيطة لاختبار الذهن.. وأمكن تطويرها فيما بعد ليصبح البث المتبادل كلمات وأوامر بدلاً من الأرقام..

وفي معرض عجيب في دلهي في الهند.. يتحدّث عن القوى الخفيّة.. أدخلني أحد معلمي اليوغا إلى غرفة مغلقة مظلمة ثمّ بدأ يتحدّث لي:

استرخ في مقعدك.. ستنتقل بعد قليل إلى مكان آية في الجمال..

وبعد دقائق كنت أحلّق فوق جزيرة في وسط المحيط.. كانت جزيرة تحفّ بها

الخضرة وينتشر سكانها على الشواطئ يصيدون السمك ويسبحون.. وإلى الداخل كانت هناك مجموعة من الأكواخ الخشبيّة المصنوعة بشكل فنّي رفيع.. يلعب حولها الأطفال.. أرى بحيرة في وسط الجزيرة، شكلها كحدوة الحصان.. هناك سباق للقوارب الطويلة يجري فيها.. أدهشتني كثرة أسراب الطيور المحلّقة.. كنت مبهوراً وأنا أتابع ما يجري في الجزيرة حين سمعت صوتاً كأنّه ينطلق من داخلي:

- حان الآن وقت العودة..

خرجت من الغرفة وأنا أشعر بالتعب.. أشار لي الرجل – معلّم اليوغا – إلى صورة فوتوغرافية ملوّنة، جزيرة وسط المحيط تشبه الجزيرة التي كنت أحلّق فوقها في الغرفة المظلمة.. تتداخل فيها صور لأناس.. يشبهون أولئك الذين تابعت تفاصيل حياتهم الصغيرة عن بعد..

لقد تمكّن الرجل أن ينقل تلك الصورة مجسّمة إلى دماغي ولكن كيف تحرّكت الحياة فيها؟ هذا لم أفهمه.. قال محاولاً أن يجيبني بطريقته: نقلت الصورة إلى دماغك.. وساعدني خيالك في تحريكها..

دخلت الطاقات الخفيّة ومن بينها التخاطر وبث الأفكار في تجسيدها.. فشهدت أنها تتحرك أمامي كما لو كانت فيلماً سينمائياً..

رجّح بحث علمي مؤخراً أن يكون الإنسان قد تمتع منذ آلاف السنين بحاسة سادسة مفقودة الآن بسبب تحوّل في جينات الجنس البشري، ويعتقد العلماء بوجود آثار عضو ضامر في الأنف كان في يوم ما يلتقط الإشارات الكيميائية الصادرة عن أشخاص آخرين، بينما يرى البعض الآخر أن هذا العضو مازال يؤثر على السلوك البشري إلى يومنا هذا..

ويقع هذا العضو الضامر خلف فتحتي الأنف في الدماغ وهو عبارة عن

ثقبين صغيرين يحتويان على أعصاب تلتقط الإشارات الكيميائية التي يفرزها الآخرون، ولم يحسم العلم حتى الآن ما إذا كان الجسم البشري يمتلك القدرة على إطلاق تلك الإشارات الكيميائية أم لا؟ وبالمقابل فإن الإشارات الكيميائية المنبعثة من أجسام العديد من الحيوانات تحرّك أقرانها أنماطاً سلوكية غريزيّة مثل العدوانية، والتزاوج..

وأدت هذه النتيجة إلى الاعتقاد بأن البشر ربما تمتعوا في عصور سابقة بالقدرة على التواصل بلغة كيميائية دقيقة المفردات ولكن البشر فقدوها بعد أن أصبحت أنوفهم الضامرة غير قادرة على النمو والعمل بالصورة السليمة..

ولم يفسر العلماء الاستبصار بالحلم، والأحلام التنبؤية، وحتى التخاطر عن بعد.. ومازالت هناك الكثير من الأسئلة التي أحاول الإجابة عنها والتي تتعلّق بتجربة (أوم بركاش سنغ) أو بتجربة تحريك الحياة في صورة فوتوغرافيّة..؟

7- نقل الصور والأحاسيس:

هل نستطيع أن نتجنب الانفعال في المواقف الحرجة؟ هل نستطيع أن نتعامل مع الأحداث بهدوء ومنطقية، إن كان لتلك الأحداث علاقة مباشرة بنا؟ هل نستطيع أن لا نحزن ولا نتألم في أوقات الشدة حين يداهم المرض أو الموت شخصاً عزيزاً؟

الإنسان كتلة من الأحاسيس والمشاعر والانفعالات، يتأثر بالأحداث وتنعكس عليه بكل سلبياتها وإيجابياتها.

فبين الحزن والفرح والإغراق في الخوف من المجهول والجبن والجرأة والشجاعة وفقدان التوازن، يقع مصير الإنسان في حياته. الرابط الجأش الذي لا ينفعل كثيراً مهما كان الموقف عصيباً هو الذي يحتفظ بتوازنه الذهني وطاقاته العقلية كما أكد العلماء في دراسات لاحقة. أي أن التوازن في التفكير والتركيز في القدرات الذهنية صفات من يتمتع بقدرات خارقة.

نعم. فعندما نركز الذهن على موضوع معين بدقة وصبر، ونتمرن على ذلك تبدأ القدرات الخارقة لدينا بالظهور. هذا ما يؤكد عليه العلم الحديث.

في عام 1983 زرت وصديقي هيثم، الذي كان يعمل دبلوماسيّاً في السفارة السوريّة في دلهي، معرضاً غريباً في نيودلهي في حي (فيزنت فيهار).. كان المعرض يتخذ طابعاً فلسفياً هندوسياً فيه صور ولوحات وكنت مشدوهاً أراقب ما ضم المعرض وأتبادل الحوار معه:

– أترى هذه التماثيل الملونة كم هي متقنة الصنع؟

– إنها مشاهد من (الراميانا) و(المهابهاراتا).

– تقصد أشهر ملاحم الهندوس؟

– نعم. أترى هناك على اليمين، إنه مشهد من الراميانا (راما) و(سيتا)

و(لاكشمان). وهناك في الجانب الأيسر مشهد من طفولة (كريشنا).

- إنها تماثيل متقنة فعلاً.

- يا إلهي إنها تتحرك..

بالطبع كنا نعتقدها تماثيل متقنة الصنع. فإذا بها كائنات حية. شبان وفتيات من مختلف الأعمار، اقتربت منّا امرأة قصيرة سمحة الوجه كانت ترتدي سارياً أبيض:

- أهلاً بكما في معرض الخلاص..

- الخلاص؟ ماذا تعنين بهذه الكلمة؟

- الخلاص من دنس هذا العالم وشروره.. سأرافقكما في زيارة المعرض؟ اسمي (نيرما) مهندسة.. أعمل في مصنع للغزل والنسيج..

بدأنا نتجول في المعرض، وهي تعرفنا عليه وتشرح بحماس:

- هذه المشاهد المجسمة التي تريانها تمثل غضب (الربة) كالي على من يخرج على الصفاء الإنساني. وتمثل مواقف في (الرامايانا) و(المهابهاراتا) يقوم بها ممثلون يتقنون ممارسة اليوغا.

- تعنين أن هذه التماثيل المزوّقة.

- بالضبط. إنهم ممثلون.

- كيف بإمكانهم الوقوف بهذه الأوضاع كل هذا الوقت؟

- قد يقفون دون حركة حتى ولا رفّة جفن لمدة ثلاث ساعات متواصلة. من يمارس اليوغا بشكل صحيح يمكنه القيام بأي شيء.

رأينا رجلاً يتمدد على الأرض وحوله الناس يراقبونه بدهشة بدأ يرتفع ببطء عن الأرض.

سأل هيثم مندهشاً:

- كيف يحدث هذا؟ إنه مناقض لنظريات الجاذبية التي نعرفها.

- ولكنها الحقيقة. إنه يرتفع تماماً دون أية قيود متغلباً على ثقل جسمه. بالتأكيد الأمر يحتاج لتمرين دائب وطويل.

- وهذا رجل آخر عاري الصدر والظهر يتمدد على لوح من الخشب. أوه بدني يقشعر، اللوح يمتلئ بالمسامير الحادة. ينام مطمئناً دون أن تؤلمه الرؤوس الحادة. كيف؟

- إنه لا يشعر بها، جسمه متصلب ومتخشب.. وقد غرق في السبات العميق (الليتارجيا).

- تعني السبات غير الطبيعي والقدرة على التخشب بلا حراك كالجثة الميتة؟ حسناً وهذا المنتصب هناك ليس تمثالاً؟

- هذا الشاب الواقف على رجل واحدة، ومعه حربة مصوبة؟ منذ أربع ساعات وهو يقف هذه الوقفة، لم ترف عيناه، إنه يمثل الإله كريشنا.. قدرته على الصمود أتت من تمريناته المتواصلة على اليوغا.. بترويض النفس وكبح جماح غرائزها..

كان يبدو كتمثال لرجل، طلي وجهه باللون الأخضر، وثوبه القشيب الوردي وحربته اللامعة يعطيانه نوعاً من الشموخ كقطعة فنية منحوتة نادرة..

تابعنا جولتنا نتأمل مشاهد أخرى لأناس يمارسون اليوغا كنت أفكر مذهولاً وأنا أستعرض المشاهد:

(ما هذه المشاهد الغريبة التي تبدو خارقة فعلاً.. أحدهم يحرك معدته من تحت جلد بطنه الرقيق وآخر يحبس الدم عن ذراعه مرة وعن رجله مرة أخرى، وآخر يخفض نبضات قلبه ورابع يتمدد فوق لوح من المسامير الناتئة كأنه على فراش وثير..)

سمعت صوت المرأة:

- أتحب أن تخوض تجربة ترى فيها قدراتك.؟

رأت استغرابي وذهولي فأعادت سؤالها:

- أتحب أن تجرب قدراتك العقلية.؟

- أخضع لتجربة.. آه.. نعم..

- ولكن يجب عليك أن تتبع التعليمات التي تعطى إليك بدقة..

قال هيثم هامساً:

- قد تكون خطرة عليك. مغامرة غير مضمونة النتائج.

- لا عليك.. هؤلاء الناس ليسوا خطرين أبداً.

- ليست مغامرة.. إنها تجربة قد تفيدني كثيراً. أين المرأة التي كانت معنا؟

- إنها تتحادث مع ذلك الرجل هناك..

- ها هي تقترب منّا..

أشارت لي المرأة: (تعال يا دكتور)

وهكذا أدخلني الرجل إلى غرفة مغلقة ووضع فوق عيني عصابة سوداء، فلم أعد أرى شيئاً..

***

- خذ نفساً عميقاً.. أرح جسمك تماماً.. نعم.. ستشعر بالارتخاء..

كان صوته يتهادى إلى أذني ببطء، تنفس بعمق (سأريح جسمي تماماً)

- ما هذه الرائحة المعطرة، هل هي نوع من المخدّر؟

- لا تقلق، نحن لا نتعامل مع المخدرات، مدد رجليك بهدوء أرح رأسك على طرف المقعد، نعم هكذا، صف لنا ما تشاهده الآن.

- إنها جزيرة وسط البحر، إنها غير واضحة يحيطها الضباب.. آه.. إنه

ينقشع بالتدريج يا إلهي، كأنني أقترب منها وأنا في طائرة أزداد اقتراباً منها.. تتوضح لي المعالم.. غابات كثيفة من الشجر في وسطها يجري جدول ماء.. إنه نبع يصب في بحيرة.. تبدو لي هناك على الشاطئ بيوت من القرميد ينطلق منها دخان كثيف.. الناس يتحركون. الصيادون يلقون شباكهم في البحر.. أطفال يلعبون.. آه إنني أزداد.. اقتراباً من الجزيرة رأسي يدور.. آه.. آه.. كأنني أسقط في هاوية آه..

خرجت من الغرفة المظلمة أتمايل، نزع العصابة عن عيني. كنت كأنّي استيقظت من نوم عميق، قال لي الرجل وهو يضحك: - (كنت متفوقاً يا دكتور..)

- ماذا تعني لم أفهم وصفك لي بالتفوق..

- تفضل اشرب هذا الكأس من الحليب الساخن مع العشب.. ستحس بالنشاط سريعاً..

كانت تجربة فريدة، لقد نقلني هؤلاء الناس من هذا المكان إلى جزيرة في وسط البحر.. كانت تجربة مثيرة حقاً.. قالت المهندسة التي ترافقنا:

- سيفسر لك كل شيء استمع له جيّداً..

- فعلاً القضية تحتاج لتفسير..

- يا سيدي.. الجزيرة التي رأيتها كانت صورة ملونة من خلال التخاطر نقلتها إليك مجسمة تضج بالحياة.. تعالَ وانظر ومن معك..

قادنا نحو صورة معلّقة..

كنت مدهوشاً: - غير معقول.. إنها صورة تلك الجزيرة نفسها، ببيوت القرميد التي ينطلق منها الدخان، وبالصيادين الذين يلقون شباكهم يا إلهي، إن هذا شيء مذهل.

- الذي أثر عليك وأضعف قواك هو الخوف، كنت خائفاً من أن نؤثر عليك، أن نسحرك رغم رغبتك وفضولك الكبيرين.

- نعم، أنت تقول الحق.

- لسنا سحرة يا سيدي، نحن نعرّف الناس على قدراتهم ونحذرهم من الانجراف إلى النزوات والشهوات التي تقصرّ من أعمارهم وتحدّ من عطاءاتهم.. المرأة التي رافقتك منذ أن دخلت المعرض، أعني (نيرما) هي زوجتي..

- زوجتك؟

قالت نيرما:

- نعم يا سيدي أنا زوجته، إنه طبيب يعمل في مستشفى العائلة المقدسة، هذا هو عنوان منزلنا في (غريتر كلاش) في مجمع كريشنا المقدس.

- في هذا الركن تلخص هذه الصورة كل ما يؤثر على طاقة الإنسان ويفتّتها..

- تلك الصورة؟

- إنها صورة ضخمة كأنها لوحات مجتمعة في لوحة واحدة.

- إنها تمثل الإنسان في رحلة حياته، وإغراءات الجنس والكحول والدخان وتناول اللحم الحيواني والحقد والكراهية.. وكيف تؤثر هذه الإغراءات على سير حياته.. وابتعاده عن الطريق السوي الذي يفجر طاقاته المخزونة..

فعلاً كانت فلسفة هؤلاء الناس مدهشة.. إنهم ينفذون إلى أعماق الإنسان بفهم واقعه وممارساته..

قلت محاوراً الرجل:

- ولكن هذه الأشياء مقبولة كلها.. إلا الجنس..

- ماذا تقصد؟

- بدون جنس كيف للإنسان أن يحافظ على استمرار نسله؟

- العالم مليء بالبشر ولن يؤثر على النسل ابتعاد قليل من الناس عنه، هذه حقيقة..

- ولكنك متزوج.. أليس لديك أطفال؟

- لا يا سيدي، (نيرما) زوجتي حقاً، لم ألمسها منذ أن تزوجنا قبل (14) عاماً، منذ أن تعارفنا وانسجمنا في معارفنا وميولنا.

- لا تستغرب يا دكتور، لقد نبذنا هذه الفكرة منذ أن بدأت رحلتنا في التعرف على خفايا النفس البشرية وقدراتها، ولم نقترب من أي من المحظورات التي تبعدنا عن الطريق إلى التوحد في الكون.

- يعني أنكما تتمتعان بقدرات خارقة؟

- ماذا تقصد بذلك؟

- ما دمتما تمارسان اليوغا وقد حققتما الالتزام بالبعد عن الكحول والتدخين وأكل اللحم الحيواني، وكبح الغرائز والحقد والحسد، يعني أنكما في طريق الوصول إلى الاستفادة من قدراتكما الخارقة.

- أطلب منها أحياناً أشياء تنفذها وهي بعيدة عني، التخاطر أصبح متقدماً بيننا، ونحن نتمرن حالياً على القيام بإيقاف وتحريك العضلات اللاإرادية في الجسم.

- إنكما تتقدمان سريعاً بلا شك.

- اسمع يا سيدي، لسنا ننتمي لمذهب معين، نطمح أن نصل إلى القيم المثلى في اجتماعاتنا، نحلق في عوالم جديدة عندما ننقّي النفس ونهذبها ونجعلها تتوحد في الخير.

أكملنا زيارتنا للمعرض ورأينا أشياء كثيرة تعبر عن القدرات الخارقة المخزونة لدى الإنسان. كان هيثم يردد باستغراب هازّاً رأسه جملة ظل يرددها فيما بعد:

– زواج دون ملامسة لمدة (14) عاماً كيف؟ كيف ظل هذا الزواج الروحي صامداً؟

– تبدو العملية غريبة ولكنها ممكنة..

كنت أعرف أنّها ممكنة تماماً عند من يعتنقون مثل هذه الفلسفة، وكانت تلك السنة 1983 هي السنة الخامسة لي في الهند..

إنّ إنسان العصر عموماً يطلق العنان لنزواته لدرجة مريعة.. ولكنّ بعض الناس الذين يعيشون خارج عصرهم المادّي الغارق بالمتعة، مازالوا يحافظوا على صفائهم الروحي.. أما إنسان العصر فهو يتردى في شهواته ومباذله وحبه لذاته لدرجة أنه يعتقد أنه السيد القادر الآمر في الكون، يستطيع أن يفعل ما يشاء دون رادع من ضمير وهو يهبط دون أن ينتبه إلى المستوى الحيواني الوضيع متخلياً عن إنسانيته وربما إلى الأبد.. يعذبني استخدام الإنسان لعقله في اتجاه تدمير القيم.. وهذا التدمير الذاتي يستمر بقوة ويتزايد يوماً بعد يوم.. لذلك أبدو متشائماً من المستقبل.

القسم الثاني
قـدرات خـارقة
قـصص موثّـقـة

1- أشهر متخاطر في التاريخ:

قضية الاستبصار ورؤية المستقبل قبل حدوثه، أو ما يسمى بالحاسة السادسة قد تحدث كثيراً لبعض الناس دون أن ينتبهوا.. ولكن هناك أحياناً حوادث خارقة من الصعب تصديقها.. أرخها علم نفس الحاسة السادسة وفصّل أحداثها..

أعظم متخاطر في التاريخ هو / وولف ميسينغ / تنبأ عام 1937 أي قبل عامين من بدء الحرب العالمية الثانية أن هتلر سيهزم ويقتل إذا ما اندفعت جيوشه نحو الشرق، وقد تحدث بنبوءته على مسرح (وارسو) بحضور جمهور كبير تجاوز الألف شخص..

كان رجلاً خارقاً في أشياء كثيرة.. لقد تشاءم هتلر من نبوءته تلك ووضع جائزة (200) ألف مارك لمن يحضر (ميسينغ) حياً أو ميتاً..

ولد (ميسينغ) في أيلول عام 1899 في إحدى القرى التابعة لوارسو في بولونيا. كان صبياً عصبي المزاج، ضاق بالوحدة والعزلة في قريته وهو في سن الحادية عشرة فقفز إلى أول قطار في رحلة لا يعرف إلى أين ستقوده. ولم يكن لديه نقود أو بطاقة سفر فاختبأ في إحدى العربات، واستيقظ على المفتش ينهره، ارتجف الصبي:

– يبدو أنك لم تشتر تذكرة سفر، أين تذكرتك؟

"يا إلهي ماذا أفعل؟ سيسلمني للشرطة" قطع من جريدة قديمة قطعة بحجم التذكرة وأعطاها للمفتّش وأخذ يدعو في سره أن لا يطرده المفتش من القطار، قال المفتش وسط ذهول الصبيّ: (ما دمت تحمل تذكرة. لماذا تختبئ تحت المقعد؟)

(غريب لقد ثقب قصاصة الجريدة على أنها تذكرة فعلاً وكان جاداً في حديثه

معي.. ما السر؟ هل أوحيت له بذلك فصدق، سأجري تجربة على مقدرتي في الإيحاء على هذه المرأة الجالسة هناك، سأطلب منها أن تحك ذقنها.. هه.. إنها تحك ذقنها فعلاً.. أطلب إليها أن تأتي إلى هنا وتتحادث معي)

– لماذا تجلس وحدك أيها الصبي؟ ألست بصحبة أحد؟

– لا يا سيدتي..

– أتحب الشوكولا؟ سأعطيك هذه القطعة..

– شكراً يا سيدتي..

***

شعر ميسينغ عندها أنه يملك قدرات خارقة في التخاطر والإيحاء، وحين توقف القطار في برلين هبط الصبي الصغير، وبدأ يبحث عن عمل، ثم عمل عتالاً في المحطة لمدة من الزمن وقد سقط لضعف جسمه وهو يحمل حملاً ثقيلاً في أحد الأيام..

حملوه إلى المستشفى لأنه كان هامد الحركة وقد اعتقدوه ميتاً. وفي المشرحة لاحظ أحد طلاب الطب أن قلبه ينبض بضعف فأسعفه وكان جسمه بارداً، ولم يكن نبضه ملحوظاً ولا تنفسه، وخلال يومين عاد النبض والتنفس إلى انتظامه..

– ما بك يا دكتور (آبل) تفحص هذا الشاب الصغير؟ لقد نجا بأعجوبة...

– إنه شخص غير عادي. إن حالته هي واحدة من أندر حالات (الليتارجيا) التي شهدتها في حياتي، أقصد حالة السبات العميق غير الطبيعي. وهي حالة نادرة قلما يصاب بها المرء. إنه شخص غير عادي كما قلت لك، اتصل بي فور استيقاظه..

وحين استيقظ ميسينغ بادر الممرض للاتصال بالدكتور (آبل) الذي حضر

على الفور:
- أيمكنك أن ترافقني؟
- إلى أين يا سيدي؟
- إلى البيت، سأدبر لك عملاً غير العمل الذي كنت تقوم به.. جسمك ضعيف ولا يقوى على حمل الأشياء، هيا انهض..
- أحس بالجوع..
- ستأكل معي في المنزل.. هيا بنا..
وبعد عدة أيام من الراحة والشبع سأل ميسينغ الدكتور آبل:
- اسمع يا سيدي، أقيم معك منذ أسبوع وقد استرد جسمي عافيته، صرت ضجراً من الراحة.. قلت أنك ستدبر لي عملاً؟
- لديك قدرات خارقة كبيرة تحتاج لعناية حتى تظهر، أتتذكر ما حدث لك في المحطة؟
- كنت أحمل حملاً ثقيلاً، وسقطت فغبت عن الوعي..
- سقطت في سبات عميق، عندنا نسميه (الليتارجيا) يمكنك أن تغوص في هذه الحالة ببساطة؟
- تقصد أن أصمد بلا حراك تماماً؟
- إنني أقوم بها أحياناً..
- ماذا تقول؟ أيمكن؟
- نعم يا دكتور، أحياناً لعدة ساعات، وأحياناً ليوم كامل.
- أيمكنك أن تجرب هذه الطريقة أمامي دقائق فقط للتجربة؟
- بالطبع يا سيدي. هه.
خلال لحظات أصبح جثة بلا حراك، قلبه بالكاد ينبض وحين أيقظه:

- سأدبر لك عملاً يدر عليك دخلاً ثابتاً. وبعد ذلك ندرس معاً ما تتمتع به من قدرات. عملك سيكون في متحف برلين.

***

ألحق آبل الشاب ميسينغ بمتحف برلين حيث كان يستلقي لمدة ثلاثة أيام من كل أسبوع في تابوت زجاجي في حالة من التخشب بلا حراك كالجثة الميتة..
وكان يتقاضى عن هذا العمل خمسة ماركات في اليوم..
وهكذا بدأت قدرات ميسينغ تظهر أمام الناس بشكل مباشر..

***

- اسمع يا سيدي.. أنت تؤدي عملاً عضلياً، لديك ثلاثة أطفال ذكور امرأتك أصغر منك سناً بست سنوات..
- كيف عرفت؟ ما تقوله حقيقي.. أنا أعمل في قطار أغذي المرجل بالفحم وعندي ثلاثة صبيان..
وتوجه نحو رجل آخر:
- أما أنت فتؤدي عملاً كتابياً، أعتقد أنك تدرّس الرياضيات، تمارس هواية الموسيقى متزوج وعلى خلاف مع زوجتك، إنها عنيدة وتطالبك أحياناً بالكثير.
- صحيح ما تقوله، صحيح تماماً، ولكن ماذا تفعل الآن؟ لماذا تنزع قميصك.؟
- أترى ذلك اللوح الخشبي الذي رصّت فوقه مسامير حادة؟ سأتمدد فوقه.
تمدّد فوقه بهدوء كأنه فوق سرير وثير، لا يرتعش ولا يحس بالمسامير تخزه..
- إنه ينهض ويدير ظهره للموجودين.. إن آثار المسامير واضحة في جسمه ستختفي هذه الآثار سريعاً..

وقام ميسينغ بتجربة أخرى على الملأ أوقف طبيباً يحمل سماعة قربه:
– سيقوم الطبيب بإحصاء نبضات قلبي.. هي طبيعية الآن، ولكنها ستنخفض إلى عشر نبضات في الدقيقة..
وبدا ميسينغ كالميّت والطبيب يحصي نبضات قلبه التي وصلت فعلاً إلى عشر نبضات بالدقيقة، كان جاهزاً ليخدر أية بقعة من جسمه تخديراً كاملاً.. خدّر يده بحبس الدم عنها لو قطعت يده من جذورها ما شعر بالألم..

***

توصل ميسينغ إلى قدرة رصد الأفكار والتقاطها، وكان يؤدي عروضاً أمام الناس كان يخدر بقعة من جسمه، يتمدد فوق سطح خشبي فيه مسامير حادة، أو يسبح في الماء ويتمدد في القاع دون حراك لساعات.. على عادة ممارسي اليوغا الهنود، وقد التقى بالعالم النفسي (سيغموند فرويد) في مكتب صاحب نظريّة النسبيّة (ألبرت أينشتاين) قدم سيغموند مبكراً إلى مكتب أينشتاين الذي كان متشوقاً للتعرف على الشاب:
– لو قدر لي أن أحيا حياتي مرة ثانية لنذرتها لدراسة القدرات فوق النفسية.. أنت عالم مشهور ونظريتك التي أطلقتها قبل عشر سنوات، أقصد النسبية قلبت مفاهيم الرياضيات..
قطع عليهما الحديث دخول ميسينغ قال أينشتاين:
– إنه (سيمغوند فرويد) لا شك أنك سمعت به.. إنه عالم نفسي شهير.. أصرّ أن يقابلك شخصياً وقد سمع عن قدراتك الخارقة..
وبدأت التجارب عليه.. وبعد لحظات أخذ كتاب من المكتبة ووضعه على المنضدة. سأله فرويد:
– ومن أمرك بذلك؟

- طلبت مني تخاطرياً أن أفعل هذا يا سيدي..
- فعلاً لقد طلبت منك ذلك.. أرني كيف تدخل في (الليتارجيا)..
وخلال دقائق سقط ميسينغ دون حراك:
- لقد أوقع نفسه في غيبوبة، تعال واختبره، إنه يخفض نبضات قلبه، يبدو متخشباً، بلا حول ولا قوة كالميت.
- ولكن كيف يمكنه إيقاظ نفسه بسرعة؟
- له قدرة على التعامل مع ذلك وإيقاظ نفسه متى شاء.
وتلقّى ميسينغ رسالة تخاطريه، وأمسك ملقطاً للشعر واقترب من أينشتاين:
- عذراً يا سيدي سأقتلع بعض الشعرات من شاربك، أولى ثانية ثالثة..
احتجّ آينشتاين فقال ميسينغ:
هكذا أمرني السيد فرويد، عذراً..
قال فرويد ضاحكاً:
- بالفعل أمرته تخاطرياً أن يقتلع ثلاث شعرات من شاربك..
- ولم تلق سوى شاربي لتجرب لعبتك التخاطرية عليه..

***

كان ذلك عام 1915 وميسينغ في السادسة عشرة من عمره، وقد جرب عليه فرويد الكثير من التجارب الخطيرة فاجتازها بنجاح.. وأحسّ فرويد فعلاً بقدرات هذا الشاب الخارقة..

سافر ميسينغ إلى الهند. وقد رأى من يتدربون على اليوغا هناك. رآهم وهم يقومون بأعمال مدهشة ولاحظ أن بإمكان بعضهم أن يبقى مجمّداً عن الحركة أشبه بالجثة لعدة أسابيع، رأى ميسينغ أن قدرته على تجميد نفسه كالخشبة لثلاثة أيام ليست شيئاً أمام قدرة متمرسي اليوغا.

وتعرف على المهاتما غاندي أيضاً، وقد جرّب غاندي عليه بث الأفكار أيضاً، كان ذلك عام 1927 وقد سمع الكثير عنه وعن قوته في التخاطر وبث الأفكار، وقد علّق ميسينغ على ذلك:

– لا تذكر قوتي أمام ممارسي اليوغا من الهنود، فلا أزال صغيراً أمامهم..

– تعال، اجلس هنا إلى جانبي.. أترغب بتناول الشاي بالحليب، سأجرب عليك طريقة لبث الأفكار..

استجاب ميسينغ سريعاً لرسالة غاندي التخاطريّة، تناول الناي من مكانه على المنضدة وسلّمه لرجل يجلس قرب الباب :

– سيعزف لنا هذا الرجل على الناي..

خرج ثعبان ضخم من نوع الكوبرا بعدما دفع غطاء السلة وأخذ يتراقص على أنغام الموسيقى.

وبعد انتهاء مقابلته مع غاندي شد المهاتما على يده مودعاً:

– مسرور بالتعرف إليك يا ميسينغ، أرجو أن تستمتع عندنا بقضاء وقت مفيد.

– سيكون وقتاً مدهشاً في الهند، هذه البلاد الساحرة.

***

التقى ميسينغ بالعديد من رجالات السياسة ومن بينهم (ستالين) الزعيم السوفييتي، وقد التقى به لأول مرة عام 1940. كان ستالين معجباً جداً بهذا الرجل القصير أجعد الشعر وفي إحدى جلساته معه قال له ستالين:

– اسمع يا ميسينغ حتى تثبت لي أنك تملك قدرة خارقة فعلاً، أريد منك أن تقوم بشيئين..

– وماهما سيدي الرئيس؟

- أحضر لي من شباك مصرف موسكو مبلغ (100) ألف روبل، نفذ هذا الطلب، وبعد ذلك سأقول لك ما هو الطلب الثاني؟

وأمام شباك صندوق مصرف موسكو توقف ميسينغ:

- ماذا تريد؟ مائة ألف روبل..

إنك تحمل شيكاً ضخماً.. إنه مبلغ ضخم، حسناً أتحمل حقيبة معك؟

أراه الحقيبة، قال أمين الصندوق:

- خذ عد المال عشرة آلاف، عشرون ألفاً، ثلاثون ألفاً... أربعون ألفاً، ...، مئة ألف، إنّه مبلغ ضخم.

وضع الحقيبة بالمبلغ المطلوب الضخم الذي تحتويه أمام ستالين وفغر ستالين فاه مدهوشاً:

- كيف حصلت على هذا المبلغ الضخم دون أن تكتب شيكاً رسمياً؟

- سلمت لأمين الصندوق ورقة بيضاء أوهمته أنها شيك بمبلغ مائة ألف روبل فسلمني المبلغ دون تردد.

- إنك رجل عجيب، اذهب مع أمين سرّي وأعد المبلغ، سيتأكد من قولك مباشرة..

وتوقف ميسينغ ثانية أمام شباك المصرف:

- تفضل يا سيدي المائة ألف روبل..

- لماذا أعدتها؟ كنت في حاجة لها كما قلت.

- دقق بين أوراق شيكاتك يا سيدي، لا يوجد لديك شيكاً بهذا المبلغ.

كانت هناك ورقة بيضاء تماماً بين الشيكات المقبوضة. كاد الرجل المسؤول عن المحاسبة أن يغمى عليه لولا أن أعاده إلى وعيه مدير مكتب ستالين وميسينغ يقول له:

– لقد قرأت المبلغ بعينيك، أوحيت لك برقم المبلغ.

وعاد ميسينغ إلى مكتب ستالين:

– لقد نفذت الطلب الأول يا ميسينغ، أريد منك أن تقابلني غداً في قصري الشتوي، في مكتبي.

– ماذا؟

– لن أعطيك تصريحاً بالزيارة دبّر أمرك..

– حسناً.. سأنفذ ذلك يا سيدي الرئيس..

همهم ستالين متعجباً: (يبدو واثقاً من نفسه)

وفي صباح اليوم التالي طرق باب مكتب ستالين الشتوي:

– صباح الخير ياسيدي..

– أنت؟.. كيف دخلت إلى هنا والمكان ممتلئ بالحراس ورجال الأمن؟

ابتسم ميسينغ:

– أوحيت للحراس أنني (بيريا)، أقصد لوران بيريا رئيس المباحث السوفييتية وهو الوحيد الذي يدخل عليك دون استئذان.

– ولكنك لاتشبه بيريا فهو رجل طويل يضع نظارات على عينيه، بينما أنت رجل قصير.

– أدّى رجال الحرس ورجال الأمن لي التحية في كل مدخل حتى دخلت مكتبك.

– إنك شيطان يا ميسينغ، سأضعك تحت حمايتي الآن..

ودار حوار بين ميسينغ وأحد رجالات ثورة أكتوبر:

– لقد وقّع ستالين قبل أيام من هذا العام 1940 معاهدة عدم اعتداء..

– نعم، ولكن الدبابات السوفييتيّة ستهدر في شوارع برلين بعد نهاية الحرب

عام 1945.

– قد يغتالك النازيون يا ميسينغ على هذه النبوءة؟

– لا يهم.. ولكن هتلر سيسقط سقوطاً كاسحاً في حروبه الهمجيّة.

وصدق الرجل فقد أرسل النازيون يطالبون بتسليم ميسينغ ولكنّه كان تحت حماية رجل روسيا الأول الذي قال لهم:

– لسنا مسؤولين عن نبوءاته..

– سيخرق هتلر المعاهدة وسيكتسح الأراضي السوفيتية..

***

وفعلاً بدأ النازيون عام 1943 باكتساح الأراضي السوفيتية رغم المقاومة العنيفة لقواتهم، لقد أعلن ميسينغ أن نهاية جيوش هتلر ليست بعيدة وستهدر الدبابات السوفيتية في شوارع برلين في الأسبوع الأول من أيار 1945. وهكذا حدث. وأصبح ميسينغ أسطورة حية بين الناس:

– كيف يمكنك أن تقرأ أفكار الآخرين يا ميسينغ؟

– إن ذبذبة الدماغ تتباين من إنسان لآخر وبعض الناس يستطيع التحكم بها ليجعلها تتلقى ذبذبات واردة أو يمكنه بث ذبذبته نفسها إلى الآخرين..

– ولكن كيف تتنبأ بالأحداث القادمة؟

– إنها تومض في ذهني فأحاول استشفافها، للإيغال إلى المستقبل.

– وهذا أيضاً ما يجعلك قادراً على اكتشاف مدبري الجرائم، ومعرفة اللصوص الذين يسطون على المصارف والمنازل.

– تمر بي لحظات أحس فيها أنني إنسان آخر مختلف، كأنني أرى الأحداث القادمة بعين بصيرة، لقد تطورت هذه الناحية في دماغي، وهذا ما جعل قدرتي على التنبؤ تزداد. إنها لمحة، ومضة في الذهن تكشف الحقائق

المقبلة.

***

لعل القدرة على التخاطر ترتبط بالحقول الكهرطيسية وبحقل مجهول لا نعرفه، هذا ما يؤكده (كوزيوف) عالم الفلك الشهير. ربما كان هذا الحقل المجهول هو حقل الجاذبية. وأعتقد أن ميسينغ شخص استثنائي، ساعدت الأحداث المتتالية على تطوير قدراته التخاطرية الخارقة. وهناك الكثير من الناس الذين يملكون قدرات لا يطورونها، ويظلون مجهولين لا نعرفهم رغم أنهم يعيشون بيننا.

إن طوّر بعض الناس قدراته التخاطرية، أقصد ممن يملكون من مثل هذه القدرات، فربما ساهموا في إغناء مسيرة العلم في بلادهم، أو في مجتمعهم الذين يعيشون به..

قبل خمسين عاماً، صرح العالم الكبير / تسيلكوفوسكي / الذي يعتبر الرجل الأول الذي وضع اللبنة الأولى في مسيرة الصواريخ في الاتحاد السوفييتي السابق، لقد صرح متنبئاً بالاهتمام بالتخاطر في عصر الأسفار الفضائية فقال:

- (ستظهر الحاجة بوجه خاص إلى الملكات التخاطرية في عصر السفر إلى الفضاء، ولسوف تساهم هذه الملكات في تقدم الإنسانية العام.. وفي الوقت الذي يفترض فيه بالصواريخ الفضائية أن تحمل الناس باتجاه أسرار الكون الكبرى، يمكن لدراسة الظاهرات (الميتانفسية) أن تقودنا إلى معرفة أسرار النفس الإنسانية، وفك أسرار هذا اللغز على وجه التحديد الذي يفتح أمامنا أرحب الآفاق...).

***

رؤية الحوادث قبل وقوعها جزء صغير من قدرات الإنسان الخارقة، ونماذج الناس الذين يملكون هذه القدرات بدأت تشغل الباحثين في السنوات الأخيرة..

مادام الإنسان يملك في دماغه أكثر من 130 مليار خلية لم يستخدم منها سوى القليل، فماذا لو استخدم المليارات المتبقية، كم ستكون قدراته خارقة عندها؟

2- الخـروج من القبـر:

يتمتع الإنسان بقوى خارقة ولكنه لا يستثمر سوى جزء ضئيل جداً منها، وهذا المبدأ هو الذي يجعل من يطور قدرته ويستثمر جزءاً أكبر منها، يقوم بأعمال تبدو خارقة للآخرين.. كالذي يدفن نفسه لثمانية أيام في قبر.. ثم ينهض صحيحاً معافى، أو الذي يرتفع بجسمه فوق الأرض متغلباً على قوانين الجاذبية المعروفة، أو كالذي يخفض من عدد نبضات قلبه إلى أقل من عشر نبضات في الدقيقة وجميع هذه الحالات رأيناها وجهاً لوجه، وعاينا صحتها مباشرة، وتأكد لنا أنها حقيقة رغم أنها تبدو خارقة للناس..

ربما كان تسلق المرتفعات وقطع المحيط بقارب بدائي أو التجول حول العالم فوق دراجة أو حصان من المغامرات الممتعة المفيدة.. والإنسان. يتشوق دائماً لكشف المجهول والتعرف على العالم المحيط به.. ولكن ماذا عن القدرات الخارقة التي يقف العلم أحياناً عاجزاً عن تفسيرها؟

في دماغ الإنسان عشرات وعشرات البلايين من الخلايا لا يستخدم الإنسان من هذه الخلايا سوى القليل..

فقد لا يستخدم من خلايا دماغه أكثر من عشرها.. فماذا لو استخدم نصف خلايا دماغه؟..

كم تكون قدرته عندئذ خارقة؟ بعض الناس يولدون متمتعين بقدرات خارقة، ولكن الأجواء المحيطة بهم لا تنتبه لها أو قد تساهم في حصارها فتخبو وتنسى.. ولكنها تظل كالجمر تحت الرماد..

في بعض المناطق يحاول العلماء الكشف عن هؤلاء المبدعين الخارقين..

هؤلاء الذين لا ينتبه إلى طاقاتهم المدهشة أحد.. بل ينظر الناس إليهم كممسوسين بقوى شيطانية خفية.. وهم بشر عاديون.. يميزهم أن قدراتهم

أكثر من غيرهم وأن خلايا دماغهم تعمل أكثر من خلايا أدمغة غيرهم.. إن هذا البحث يدخل في مجال الحاسة السادسة والقدرات الخارقة..

إن الذي ينمي قدراته عن طريق اليوغا وتمرين عضلاته اللاإرادية والتحكم فيها، يختلف عن ذاك الذي يولد بقدرة خارقة بالصدفة..

وإذا جمع بينهما يكون إنساناً خارقاً للعادة..

سنحكي أولاً عن أحد النماذج الفريدة، لممارسي اليوغا الذين ينجحون أحياناً في التحكم بقدراتهم الخارقة.. بتحريك عضلات أجسامهم اللاإرادية، كالقلب والمعدة، والكلية..

هذا النموذج.. هو (شنكر بال سنغ) وهو شاب هندي من مدينة دلهي يبدو عادياً بمظهره الخارجي وعينيه المتوقدتين وجسمه الرقيق..

ولكن ماذا يستطيع هذا الشاب أن يفعل؟ إنه يقوم بأعمال غير عادية أعمال خارقة محيرة ولنتعرف على بعض هذه الأعمال..

ها هو الشاب الرقيق يستعد للقيام بتجربة غير عادية بالنسبة لنا بل مذهلة أيضاً:

– ماذا ستفعل الآن يا (شنكر بال)؟

– سأتمدد في هذه البركة وأنام في قاعها..

– ماذا تقول تنام في قاعها؟

– نعم.. هذا ليس صعباً..

وتراجع الرجل إلى الخلف واقترب من رفاقه الصحفيين:

– لقد أخذ نفساً عميقاً وغطس بهدوء..

– إنه يبدو ممدداً في القاع يتشبث بحلقات حديدية..

– يا إلهي إنه هامد تماماً..

- سأرى كم من الوقت يستطيع أن يبقى هكذا..

ومر الزمن.. وكان الصحفيون ينتظرون نهاية التجربة بمزيج من الدهشة والملل:

- لا نزال ننتظر، له أكثر من ساعتين على هذه الحال..

- يبدو شيئاً مستحيلاً..

واستمرت عقارب الساعة تدور:

- ست ساعات كاملة.. شيء خارق فعلاً..

- إنه يتحرك بهدوء..

- إنه يصعد على سطح الماء.. يأخذ نفساً عميقاً.. يبدو عليه التعب..

- يحرك جسمه يميناً وشمالاً..

- يبدو وكأنه استعاد نشاطه..

تجمع حوله الصحفيون، وفي جعبتهم الكثير من التساؤلات، كان المكان الذي نفذ فيه تجربته هو فندق من أضخم فنادق دلهي واستمر الحوار مع الشاب الهادئ:

- ما هذا يا رجل؟ شيء لا يصدق..

- يا سيد حين تخلص جسمك من الأدران تستطيع أن تفعل أشياء كثيرة..

- ماذا تقصد بالأدران؟

- اسمع يا سيدي.. نحن نمارس اليوغا ونظل على تواصل معها خلال فترات حياتنا..

- هناك العديد من الناس يمارسون اليوغا أيضاً ولا يفعلون ما تفعل..

- كلا.. الأمر يختلف.. ليست اليوغا رياضة للجسد فقط.. إنها رياضة للكل الإنساني، أعني للجسد والروح..

- من فضلك لا تغرقنا في الفلسفات، نريد حديثاً واقعياً..

- حسناً.. من يريد التعمق في دراسة اليوغا عليه أن يترك خمسة أشياء كاملة..

- خمسة أشياء؟ ماهي؟

- الامتناع عن أكل اللحم الحيواني..

- نعم.. هذا ليس صعباً..

- الامتناع عن شرب الخمر..

- وهذا ليس صعباً أيضاً..

- الامتناع عن التدخين..

- حسناً.. عدم ممارسة الجنس..

- ماذا تقول يا رجل؟ وكيف تحافظ البشرية على نسلها إذن؟..

- يا سيدي، لا يمكن أن يمارس البشر جميعاً اليوغا، هي لفئة قليلة لا تؤثر على استمرار النسل البشري..

- حسناً، وما هو الشيء الخامس..

- أن تحب الناس جميعاً، وتخلّص نفسك من الحقد والحسد تماماً..

- أن تحس بالحب تجاه الجميع، وأن لا تحقد على أحد أو تحسد أحداً؟ إنه شرط معنوي..

- ولكنه مهم جداً يا سيدي..

- وماذا تستطيع أن تفعل أيضاً؟

- أستطيع أن أخفض نبضات قلبي لعشر نبضات في الدقيقة..

- ماذا تقول؟ انتظر سأحضر سماعة طبية..

- سأخفض الآن عدد نبضات قلبي إلى عشر نبضات.. سألقي جسمي على

هذا المقعد أرجو أن لا يزعجني أي منكم..

وبدأت نبضات قلبه تنخفض وسط دهشة الحاضرين..

- يا إلهي إنها تنخفض فعلاً..

- يبدو شيئاً مستحيلاً..

وبدأت الأسئلة تنهال عليه:

- وكيف تفعل ذلك يا شنكر؟

- القلب، عضلة لاإرادية، باليوغا يمكن السيطرة عليها.. انظر الآن..

- يا إلهي إنه يخرج معدته ضاغطاً جلد بطنه.. إنه يتحكم بالمعدة والأمعاء بفروعها يحركها فتنقبض وتنبسط..

- سأحبس الدم الآن عن ذراعي هذه..

- تبدو ميتة بلا إحساس.. كأنها مشلولة خالية من الحياة..

- إنه يعيد تدفق الدم إلى ذراعه من جديد..

- فسر لنا ذلك يا شنكر..

- كما قلت يا سيدي، باليوغا تستطيع ترويض العضلات اللاإرادية في الجسم..

- وكيف تمكنت من التمدد في البركة لست ساعات متواصلة دون أوكسجين؟

- ملأت رئتي بنفس عميق، أي أن رئتي امتلأتا بالهواء - الأوكسجين - اللازم للحياة.. ثم أدخلت جسمي كله في مرحلة سبات..

- ماذا تعني؟

- كل الوظائف الفيزيولوجية في الجسم تركتها تعمل ولكن ببطء شديد وأنقصت عدد نبضات قلبي.. أصبح الأوكسجين الموجود في الرئة كافياً لمدة

معينة، وحين انتهى صعدت إلى سطح البركة لأتنفس من جديد.. إنها رياضة صعبة، ولكنها تحتاج لممارسة ودأب مستمر حتى تتحقق نتائجها جيداً..

– عجيب.. وكيف حبست الدم عن ذراعيك؟

– أوقفت جريان الدم في الذراع، هذه عملية صعبة جداً وتحتاج لمجهود ولكن بعد سنوات من التدريب المستمر استطعت السيطرة عليها..

– تبدو أعمالاً غير قابلة للتصديق..

– ولماذا يا سيدي؟ كل شيء سهل على الإنسان المتابع، الصافي التفكير الخالي جسمه من أدران الحقد والحسد والعوامل التي تسبب تلفه من لحوم وخمور ودخان ونزوات تضيع طاقاته..

***

إن شنكر بال ليس حالة فريدة، فهناك العديد من الحالات المشابهة لحالته.. وهناك حالات فذة، نذكر منها حالة (كابيل سنغ) أحد أشهر من يمارس اليوغا في الهند..

كان (كابيل سنغ) عقيداً في الطيران الحربي الهندي، استقال من الجيش بعدما بدأت قدراته الخارقة تظهر لم يكن كبيراً في السن كان في نحو الخامسة والخمسين من عمره، ملتحي الوجه، صافي النظرات، وديع الشخصية.. يسمونه الآن (بايلوت بابا– أو بابا الطيار)..

وماذا يستطيع أن يفعل؟ ماهي قدراته الخارقة التي توصل إليها باليوغا؟ لقد توصل كابيل سنغ إلى حبس الدم عن أعضاء من جسمه، عدم التنفس لوقت طويل.. وشل حركة البدن بكامله والسبات طويل الأمد..

إنه رجل خارق للعادة، ففي الثامن من آذار عام /1982/ وفي مكان يقع

في ضواحي مدينة (أغرا) الشهيرة بتاج محل، قام كابيل سنغ بعمل خارق.. أمام سمع وبصر جمع كبير من الناس.. وبحضور جمهور من الصحفيين وبينهم صحفيون أجانب، دفن (كابيل سنغ) نفسه في قبر حفر خصيصاً.. وكنت حاضراً هذا العمل الخارق.

كانت عملية فريدة يقدم عليها الرجل الكهل بهدوء وثقة.. ودار حوار بيني وبين أحد الصحفيين الهنود:

– هل سيتمدد الكهل داخل هذه الحفرة؟

– نعم.. بعد أن يكتمل حفرها.. سترى شيئاً مذهلاً..

– ماذا يفعل الآن؟

– (يتمرن على مرحلة السبات.. إنه رجل خارق الذكاء.. سأعرفك عليه واقتربنا من الرجل الكهل الذي كان يحدق في البعيد.. وقطع عليه (قيصر) – وهو اسم الصحفي – شروده وعرّفه بي:

– إنه أحد العاملين في حقل العلم، وهو صحافي أيضاً يراسل بعض الصحف والمجلات في الشرق الأوسط..

نظر نحونا صامتاً وابتسم مرحباً.. قلت:

– أنا سعيد جداً بمعرفتك، وسمعت عنك الكثير..

– لا أرغب في عملي هذا بالدعاية لنفسي، أرغب فقط أن يعلم الناس أنهم ذوو قدرات كثيرة يضيعونها بالأحقاد والصراعات والجريمة والأنانية، واللهاث وراء المال والنزوات..

– أعلم أنك رجل صالح تكره الإعلان والدعاية، وتضحّي في سبيل قيمك ومبادئك.. علمت أنك صمت عن لطعام منذ فترة، تضامناً مع أحد العمال المظلومين في مزرعة يملكها ثري كبير، سجلّك حافل بالعمل النبيل..

- ها.. أنت تتابع حياتي جيداً؟

- الشخصيات القويّة المؤمنة بقيم الإنسان تشدني كثيراً..

- سررت بمعرفتك.. أرجو أن نلتقي قريباً.. حان الوقت الآن للبدء بعملي.. أرجو المعذرة..

تركنا وعاد إلى شروده وقد اكتمل حفر الحفرة (القبر) واستعد كابيل سنغ للدخول فيها.. شعرت عندها بالخوف للحظات وهو يتمدد أمام الجميع في الحفرة.. وبعد دقائق:

- يا إلهي إنه بلا حركة.. يبدو خالياً من الحس..

همس (قيصر) بهدوء:

- سيهيلون عليه التراب، بعد أن يثبتوا فوق الصندوق تلك الرخامة الثقيلة.. انظر كل ما حوله محصن بالإسمنت..

وفعلاً وضعوا قطعة الرخام المتطاولة فوقه وأخذوا يهيلون التراب عليها..

ولكن هذا لم يكف، أحضروا المعاول والرفوش وحفروا حوله خندقاً ضيقاً صبوا فيه الإسمنت ووضعوا دعامات خشبية فوق القبر، شرح لي (قيصر) الوضع:

- سيصبون حول القبر صندوقاً من الإسمنت المسلح..

- ولماذا كل هذه الاستحكامات؟

- هو الذي أكّد على ذلك، حتى يقنع الناس أنه لا يمكنه مغادرة القبر، أو التسلل منه أو حفر أي نفق..

- إنها الساعة العاشرة والنصف الآن..

- وفي العاشرة والنصف من يوم /16/ آذار سيفتحون القبر.. أستظل مقيماً هنا؟

- سأسافر الآن وأعود في اليوم المحدد..

- انتظر إلى ما بعد الظهر، حيث سترى الصحفيين الأجانب وهم ينامون قرب القبر.. بعضهم بدأ ينصب الخيام وبعضهم استعد للإقامة في منطقة قريبة من هنا.. إنهم مجانين بعد كل هذه الاستحكامات يخافون أن يتسلل خارجاً من القبر.. هذا مستحيل..

- بالطبع هذا مستحيل وهذا ما يجعلني أسافر لأعود في اليوم المحدد، رغم أنني أشد فضولاً منهم..

- اسمع يا صديقي أتؤمن بنجاح هذا الرجل؟

- أعتقد ذلك..

شد على يدي بحرارة قبل أن يهمس:

- (أنت إنسان موضوعي)

- ليست القدرات الخارقة التي يتمتع بها الإنسان وهماً أو خيالاً.. أنا أؤمن بكلام كابيل سنغ، لو سلك الإنسان مسلكاً نبيلاً في التعاون ونبذ البغضاء والكراهية وترك الصراعات في سبيل المجد والشهرة الكاذبة لحقق حضارة مدهشة..

- معك حق..

وهكذا سافرت إلى المدينة التي كنت أقيم فيها ثم عدت بعد ذلك لرؤية القبر قبل الوقت المحدد لفتحه..

وظل الصحفيون يناوبون كل تلك الفترة قرب القبر..

وفي اليوم السادس عشر من آذار /1982/ أي يوم فتح القبر وكان يوماً مدهشاً بأحداثه.. كنت أشرف على القبر ومعي جمهرة من الناس يعتريهم الشك والريبة بما سيحدث وقد بدت عيونهم المتعبة تحدّق نحو القبر وقد

اقتربت لحظة الصفر.. كنت أشعر بالرعب (ياإلهي إن قلبي يضرب بعمق، أيمكن أن يحدث ذلك؟ أيمكن أن يستيقظ الكهل من جديد؟)

وسمعت صوت قيصر ورائي:

- ها.. أنت هنا ياصديقي..

- نعم.. حسب الموعد..

- أراك ممتقع الوجه.. هل أنت خائف على صديقنا (كابيل سنغ)؟

- لست خائفاً ولكني متحير.. ما الذي سيحدث؟ الساعة الآن العاشرة والنصف..

- إنهم يستعدون لحفر القبر من جديد.. انظر..

وبدأت المعاول والفؤوس والمطارق تنهال على الإسمنت تكسره بصعوبة.. وازداد تجمع الناس وأحسست بهم يدفعونني نحو الوراء بعد أن كنت متقدماً صفوفهم قلت محتجاً لقيصر:

- الناس يتجمّعون.. لا أرى شيئاً..

- اقترب أكثر سنجد لنا مكاناً أفضل..

همهم بالهندية يستحث الهنود على إفساح المجال لنا.. وصرنا فوق القبر مباشرة:

- إنهم يرفعون قطعة الرخام يا إلهي.. يبدو الكهل ممدداً بلا حراك..

- يبدو ميتاً..

- أيمكن أن ينتهي الرجل هكذا؟ لا أعتقد..

- انظر ثمة تغيرات خطيرة تحدث للرجل.. وجهه الشاحب المنطفئ تتدفق فيه الدماء.. إن عينيه ترتعشان.. يا إلهي إنه يفتح عينيه..

- يبدو ذاهلاً عما حوله.. إنه يحرك رأسه ببطء.. يعب نفساً عميقاً..

- أيمكن هذا؟ فعلاً إنه عمل خارق للعادة..

نهض بهدوء بدا الجمع الحاشد من حوله مذهولاً مستغرباً.. استخدم بعضهم آلات التصوير..

همس لي قيصر:

- استخدم آلة التصوير أيضاً.. إنها لحظة تاريخية..

كنت مذهولاً تماماً بما يحدث..

- إلى أين يتجه؟

نهض من القبر وهو يرمق كتل الاسمنت المتكسرة من حوله مبتسماً، إنه يبتسم..

إنه يمسي بهدوء إلى أين يمشي؟..

شرح لي قيصر الأمر:

- إنه يتجه صوب دورة المياه، للتخلص من فضلات جسمه المتجمعة من ثمانية أيام وليغسل وجهه، وربما ليشرب..

وهكذا نهض (بابا الطيار) من سباته قوياً، واعياً، وكانت لديّ أسئلة كثيرة أطرحها عليه..

وانتظرنا نحو ثلث الساعة:

- ها قد عاد يبدو بشوشاً واثقاً من نفسه..

- الصحفيون يندفعون صوبه ماذا سنفعل يا قيصر؟

- (خذ مكاناً قريباً منه، هيا لنندفع نحن أيضاً نحوه.. اتبعني)

وفعلاً أشرفنا من جديد على مكان الرجل، وبدأ الصحفيون يسألونه:

- سيد سنغ كيف دبت فيك الحياة وأنت لا تتنفس ولا ينبض قلبك؟ هذا مخالف لقانون الحياة؟

– كنت أتنفس ببطء شديد وكان قلبي ينبض ببطء شديد أيضاً.. إنه تمرين متطور من تمارين اليوغا للدخول في سبات الجسد..

– أيمكن أن تظل في مرحلة السبات لمدة أطول؟

– مع الممارسة يمكن أن نزيد الزمن عن ثمانية أيام..

– أتعتقد أن ما فعلته عادياً..

– قد لا يكون عادياً بالنسبة لكم.. ولكنه بالنسبة لي أقل من عادي..

– هذا مخالف لقوانين الحياة..

– قوانين الحياة التي اعتدتموها، وأجسادكم مليئة بالأدران..

– أكنت تحلم وأنت ممدد في القبر؟ أم أن ذهنك لم يكن يعمل؟

– بالعكس كان ذهني نشيطاً أكثر من أي وقت..

– كيف؟ أكنت تفكر وتحلم وتنام وتستيقظ؟ ألم تر كوابيس في سباتك؟

– كنت تلك الفترة خارج القبر.. كنت أتنقل في ربوع الهند، بين الهيمالايا وجمّو وبوبال ومدراس..

– أرجوك اشرح لنا ما تقوله..

أخذ الكهل يتكلم بصوته الهادئ الرزين وهو يحدق بعينيه في البعيد:

– قبل مدة لا نعرفها رأيت انهياراً في جبل صدف، حيث كان أحد الباصات السياحية يمر في المنطقة وهي غير بعيدة عن / سري ناغار / عاصمة كشمير، سقطت الحجارة والصخور على الباص فمات كل من فيه..

– وصفت الحادث جيداً كأنك كنت تراه؟

– كنت أراه فعلاً قد رأيت تصادم قطارين للشحن في (جمو) بعد ذلك الحادث.. ورأيت في بوبال جمعاً حاشداً أمام مصنع صغير يحترق.. وفي (مدراس) رأيت صيادين يجرون سمكة هائلة..

– وكيف كنت ترى ذلك؟

– كأنني أحلق بأجنحة غير منظورة فوق الأرض أنتقل بسرعة من مكان لآخر.. أحلام متواصلة تتغير مشاهدها..

– أتعتقد أنك رأيت أحداثاً حقيقية أم أنها كانت أحلاماً؟

– بل ما رأيته كان حقيقة واقعة..

ثم تكلم بالهندية: (ليحضر أحد الأخوة الهنود صحفاً بتواريخ بين الثامن والسادس عشر من هذا الشهر)

تطوع أحدهم:

– سأقوم بالمهمة سريعاً..

عاد الشاب الهندي بعد دقائق ومعه كومة كبيرة من الصحف:

– إنها من أرشيف المتحف القريب استعرتها.

وبدأت الأيدي تقلب أوراق الصحف بلهفة..

همس قيصر:

– أمعقول؟ انظر ما تقوله الصحف (وفي التاسع من آذار يوم أمس انهارت الصخور فوق أحد الباصات السياحية التي كانت تنقل طلاباً من جامعة (بنارس) في رحلة علمية جيولوجية داخل جبال الهيمالايا)..

– شيء مدهش..

– وهذه صحيفة أخرى تقول: (حدث صباح أمس في الساعة السادسة تصادم قطارين للشحن في منطقة قريبة من المحطة الرئيسية في جمو.. وكان أحد القطارين محملاً بالحديد وكان الآخر فارغاً.. وقد تمكن سائق القطار الأول من القفز بينما أصيب معاوناه.. أما أفراد طاقم القطار الثاني فأصيبوا بجروح بليغة)

- هذه صحيفة (الإنديان اكسبرس) عدد الرابع عشر من آذار ماذا تقول الصحيفة، هذا هو الخبر الذي أشر عليه الزملاء الهنود بالأحمر.. اقرأه..

(حدث حريق في مصنع الحديد والصلب في بوبال، وقد سارعت سيارات الإطفاء لإخماده وقتل نتيجة الحادث عاملان وجرح خمسة عشر وقدرت الخسائر بنصف مليون روبية)

- وهذا خبر آخر في (التايمز أوف إنديا) عدد الخامس عشر من آذار:

(تمكن الصيادون في مدراس من صيد سمكة ضخمة، تأكد للعلماء أنها من نوع منقرض من الأسماك اختفى من المحيطات قبل /30/ مليون سنة ويعكف الباحثون على دراسة سبب وجودها في المنطقة وسبب عدم انقراضها على الرغم من أنها اختفت كنوع غريب من بحار العالم و... محيطاته... وهل مازال بعضها يعيش حتى الآن؟)

- شيء عجيب فعلاً..

كانت أعمالاً خارقة لا يصدقها العقل.. رغم أنها حدثت فعلاً.. ولكن كيف؟.. كثيراً ما أسأل نفسي هذا السؤال وأنا أستعيد تلك الحوادث التي ستظل حية في ذهني.. (ما هو السر الذي يجعل كابيل سنغ يعيش في قبر ضيق مغلق خال من الهواء لمدة ثمانية أيام..)؟

هل روض جسمه للحصول على أقل قدر ممكن من الأوكسجين بحيث أن ما بداخل القبر يكفيه لتنفسه البطيء ونبضات قلبه البطيئة أيضاً..

تبدو هذه الأعمال خارقة صعبة التصديق..

ولكن من يمارس اليوغا يعتبر أن اليوغا خير وسيلة للسيطرة على العضلات اللاإرادية في الجسم كالقلب والجهاز الهضمي والرئة والكلية وغير ذلك من الأعضاء..

وهؤلاء الذين يمارسون اليوغا يقومون بتمارين مذهلة.. مجهدة في البداية ولكنها تصبح بعد مدة عادية سهلة بسيطة بالنسبة لهم..

لاشك أن ما يبدو لنا خارقاً بل مستحيلاً يمكننا فيما لو تعمقنا في دراسته أن نستنتج التفسير العلمي الصحيح له، ولقد انصبّ اهتمام العلماء في السنوات الأخيرة لدراسة علم نفس الحاسة السادسة – الباراسيكولوجي – وتمكنوا بواسطة هذا العلم من تفسير كثير من الظواهر التي كانت تبدو خارقة بل مستحيلة من قبل..

في الهيمالايا يعيش بعض الناس الذين تعمقوا في دراسة اليوغا وتمكنوا من الوصول إلى قدرات خارقة وصعبة التصديق..

والهيمالايا هي منطقة الجبال المرتفعة المعروفة يعتبرها الهندوس مقدسة ويسمونها جبال الآلهة لأنهم يعتقدون أن "فشنو" وهو الحامي في الثالوث الهندوسي يهبط تلك المناطق متقمصاً شخصية بشرية.

لذلك يتجه بعض الناس لينعزلوا في الهيمالايا وليتفرغوا في ممارسة وتطوير قدراتهم الخارقة..

3- تخاطر التوائم:

ماذا عن علاقات التوائم ببعضها، وعن التخاطر بينها؟ ماذا عن سلوكياتها وآلامها المشتركة، أحاسيسها، ميولها، توجهات عواطفها؟..

لقد درس العلماء حالات كثيرة من التوائم في محاولة لفهم المزايا العقلية والبدنية التي تؤثر بها الوراثة، أو التي تكتسب بالتربية والحياة اليومية..

ورغم كل الدراسات المكثفة، فمازالت بعض الأمور غامضة محيّرة..

ولكن ظاهرة الإحساس المشترك للتوائم، والتخاطر فيما بينها أصبحت في الفترة الأخيرة مدروسة جيداً ونتائجها مذهلة تماماً..

لنأخذ حالة التوءم (دونالد كيث) وأخوه (لويس).. وهما توءم يعيش في أمريكا، وقد أجرى علماء النفس عليهما اختبارات هامة في قضية التخاطر والأحاسيس المشتركة..

بدأ (دونالد) في السنوات الأخيرة يكتشف حميمية العلاقة بينه وبين (لويس).. ففي أحد الأيام جرت حادثة غريبة غامضة كان دونالد بطلها:

– يا إلهي كأن تياراً يسري في فخذي.. أحس بآلام هائلة.. من أين أتى هذا الألم يا ربّ؟

– ماذا جرى لك يا دونالد؟ تبدو متألماً..

– لست أدري ما الذي حدث لرجلي، لا أستطيع أن أمشي عليها، أحس بآلام هائلة فيها..

– متى حدث لك ذلك؟

– قبل دقائق فقط بدأت الآلام هذه تنتابني..

– (غريب).

طلب دونالد من صديقه أن يساعده وقد رآه يقف حائراً:

- ماذا حدث لك؟ تعال ساعدني لأجلس على هذا المقعد..

- العمال في الورشة، يجب مراقبتهم.. جئت إليك بصفتك مهندس المشروع لكي توضح لرئيس العمال مغزى استخدام هذا النوع من الحديد..

- لا أستطيع الآن، ترى حالتي السيئة..

- هل أحضر لك الطبيب؟ إنه في مكتبه في الطابق السفلي..

- بسرعة أرجوك..

وكشف الطبيب حالة دونالد:

- ليس هناك من سبب عضوي وراء إحساسك بالألم في رجلك أيها المهندس..

- غريب..

- اسمع يا دونالد.. خطرت ببالي فكرة الآن..

- نعم؟

- ماذا يعمل أخوك التوءم؟ أقصد في أي مكان يعمل؟

- إنه طبيب في مستشفى الولادة في (روك فيل) لماذا تسأل عنه؟

- ألم تسمع بالألم المشترك الذي يصيب التوائم المتماثلة؟

- لا أعرف شيئاً عن الموضوع..

- هه.. أيمكنك الاتصال بأخيك الآن؟

- لماذا؟

- استفسر منه عن حالته الصحية..

- ولكنه على ما يرام كما أعرف.. أول أمس تكلمت معه..

- لا بأس جرب أن تكلمه الآن..

- حسناً، وإن كنت غير مقتنع بالفكرة..

– ها هو الهاتف تفضل.. أدار دونالد قرص الهاتف متردداً:

– آلو.. أيمكن أن أتحدث ومع الدكتور لويس..

– سأوصلك به، من أقول له؟

– قل له.. دونالد على الخط..

– .. انتظر قليلاً..

وبعد دقائق سمع صوت لويس عبر الطرف الآخر:

– آلو.. لويس كيف حالك؟

– لا بأس يا دونالد.. وإن كنت أحس بالألم الآن..

– لماذا؟ ما الذي أصابك؟

– أصبت بجرح في أعلى عضلة الفخذ..

انتفض مذهولاً:

– ما.. ماذا؟ أي رجل؟

– رجلي اليمنى..

– يا إلهي.. لويس.. هل أنت متأكد؟

– بالطبع.. لست أكذب عليك..

– سأحضر لزيارتك بعد ظهر هذا اليوم.. هل كل شيء على ما يرام؟

– نعم.. أرجو ذلك..

وضع دونالد السماعة مذهولاً:

– غير معقول.. يكاد شعر رأسي يقف..

– (كما قلت لك) وأكمل الطبيب وهو يرى دونالد يتفرس فيه بعمق:

– لن يلبث أن يزول الألم..

– يا إلهي إنني لا أتألم الآن.. كأن شيئاً لم يعتر رجلي..

- هذا يدل على الآلام المشتركة للتوائم..

- ولكن كيف؟

- حاول أن تدرس بنفسك ظواهر الإحساس المشترك بينكما أنت ولويس.. سترى أنها غير عادية..

- معك حق.. نبهتني يا دكتور لموضوع كنت أهمله تماماً..

***

وهكذا بدأ (دونالد كيث) يهتم بالأحاسيس المشتركة بينه وبين توءمه لويس.. وقد حدثت لهما أمور مشتركة أخرى..

فبعد عدة أشهر من إصابة لويس بجرح في فخذه واهتمام دونالد بفهم المزايا العقلية والبدنية للعلاقة بين التوائم.. أجرى اختباراً أمام جمع من الصحفيين والأطباء النفسيين نتيجة إلحاح طبيب المعمل عليه.. وبالتعاون مع لويس.. كان لويس يعيش في مدينة أخرى، وقد انقسم الصحفيون والأطباء إلى قسمين: قسم ظل مع دونالد، وقسم آخر تابع الاختبار من بيت لويس، ودار حوار بين دونالد وبعض الصحفيين عنده:

- إن أخي لويس يبعد عني الآن نحو مائة كيلو متر..

- نعم..

- وبعض الصحافيين الآن مع لويس ليدرسوا عن كثب ما يحدث..

- هكذا اتفقنا، لنتأكد من نجاح الاختبار..

- سأطلب من لويس الآن أن يتصل بي بالهاتف.. هه (وبعد ثوان بدأ جرس الهاتف يرن)

- آلو.. نعم.. الدكتور لويس؟

- آلو.. أين دونالد؟

- أريد أن أسألك يا دكتور.. ما الذي دعاك للاتصال بنا الآن؟
- هه.. لا أدري أحسست أن شيئاً يدفعني للاتصال بدونالد..
- حسناً لا نريد شيئاً منك.. نحن نختبر فقط..
- قل لي.. هل دونالد بخير؟ ألا يريد شيئاً مني؟
- (لا.. شكراً)

قال دونالد مؤكداً على العلاقة مع أخيه لويس:

- أرأيتم؟
- ولكن ربما كان هناك اتّصال بينك وبين لويس للاتصال بك في هذه الساعة..
- أبداً.. يا إلهي..
- وماذا تفعل؟

أمسك دونالد بكأس قريبة منه وألقاها أرضاً فانكسرت..

- ما الذي دعاك لكسر الكأس؟
- لا أدري كأن شيئاً غامضاً أمرني أن أكسر أقرب كأس من يدي، فلم أجد غير هذا الكأس..

ورن جرس الهاتف من جديد:

- ألو.. نعم..
- آلو.. نتحدث من مكتب الدكتور لويس، هل فعل دونالد شيئاً الآن.؟
- نعم.. كسر كأساً..
- آه.. شكراً.. هذا ما طلبه الدكتور لويس.. طلب من دونالد كسر أقرب كأس منه..

حاولوا مراوغة دونالد:

– ما فعلته يا دونالد كان بطلب من لويس عن طريق التخاطر؟.

– نعم، اطلبوا مني شيئاً لأنقله للويس، لينفذه..

– تقصد عن طريق التخاطر؟ حسناً.. اطلب منه أن يتصل بك بالهاتف الآن..

هز دونالد رأسه موافقاً.. نظروا إليه وهو يجلس ويتأمل وقد شرد في البعيد كان يتصبب عرقاً.. إنه يركز أفكاره..

وبعد دقائق رن جرس الهاتف، رفع أحد الصحافيين السماعة كان لويس:

– أريد التحدث مع دونالد..

– ما الذي تريده منه؟

– لا أدري لقد طلب مني أن أتصل به، عن طريق التخاطر.

– (كان ذلك بناء على رغبتنا.. شكراً لك).

أغلق الصحافي السماعة، قال دونالد:

– أستطيع وشقيقي أن نتبادل أية أوامر بيننا، لقد درست هذا الموضوع جيداً وأعتقد أن هناك ما يشبه النوافذ الكهربائية في الدماغ..

– نوافذ كهربائية في الدماغ؟

– نعم.. وفي حالة التوائم المتماثلة تكون تلك النوافذ أكثر انفتاحاً مع بعضها البعض في البث والتلقي، أقصد أنه يمكن في حالة التوائم المتماثلة وعن طريق تلك النوافذ الكهربائية أن يطور أحد التوءمين إرسال الرسائل عن طريق الدماغ، بشكل يجعل كلا منهما يفهم ما يقوله الآخر وما يفكر به وما يشعر به أيضاً..

***

وهناك حالة فريدة للتوائم المتماثلة في الولايات المتحدة.. وهي حالة التوءم

جيم وموريس..

كانت حالتهما فريدة أيضاً فقد انفصل جيم عن موريس بعد أربعة أشهر من ولادتهما وعاشا (48) عاماً بعيدين عن بعضهما، وزارت كل منهما لجنة علمية.. ثم اجتمعت اللجنتان وتوصلتا لنتائج مذهلة، وتم اجتماع أعضائهما في منزل موريس، ودار هناك حوار بين أعضاء اللجنتين العلميتين كان حواراً مهماً دل على العلاقة الحميمية بين التوائم المتماثلة:

– زرنا (جيم) وأطلعنا على مجمل حياته، وزرنا (موريس) أخاه التوءم وأطلعنا على مسيرة حياته أيضاً.. وقررنا إحضاره إلى هنا ليتقابل مع أخيه (جيم) بعد سنوات الغياب الطويلة هذه..

كان موريس يشبه جيم تماماً حتى في طريقة ارتدائه للملابس وبلون ربطة العنق:

– غريب أن لا تتقابلا خلال كل هذه السنوات؟..

– كانت ظروفنا معقدة، وقد انقطعت أخباره عني منذ أن كنا أطفالاً سافر مع عمي إلى كندا.. وأقام هناك.. ولم نعد نسمع عنه شيئاً.. تعلم.. توفي والدنا ونحن صغيران..

– اسمع يا موريس ستتقابل بعد قليل أنت وجيم، سترى كما أعتقد، شيئاً مدهشاً، هكذا أكدت اللجنة العلمية التي قابلته..

– أنا في شوق كبير للقائه، ولولا الدكتور (جونسون) الذي يجري الأبحاث على التوائم المتماثلة، لما كان هذا اللقاء ممكناً..

كان الدكتور جونسون قد رآه وتحادث معه واستغرب أنه لا يعلم شيئاً عن أخيه التوءم..

– نشر صورتي في الصحف وطلب من أخي التوءم الحضور إلى مكتبه إن

كان موجوداً في أمريكا، حيث أكدت له المعلومات أن هناك رجلاً يشبهني يعيش في مدينة أخرى..

أخذ الدكتور جونسون عن طريق السجل المدني في الولايات المعلومات الكافية عن كل التوائم المتماثلة، وبدأ بحثه الضخم حول التوائم المتماثلة بالتعرف على حياة هذه التوائم.

كان قلب موريس يضرب بعنف وهو يتهيأ لاستقبال جيم الذي أطل من الباب:

- موريس أخي..

- جيم..

- يا إلهي كم أنا سعيد برؤيتك بعد كل هذه السنوات..

- وأنا أيضاً يا جيم..

- أحضرت زوجتي (بيتي) معي.. إنها تنتظرني في السيارة مع الأولاد..

ضحك موريس:

- ماذا تقول؟ واسم زوجتي (بيتي) أيضاً.

- انتبه هي ليست زوجتي الأولى، كنت متزوجاً من ليندا وطلقتها.

- ماذا تقول؟ وزوجتي الأولى كان اسمها (ليندا) وطلقتها أيضاً. غريب..؟

كان أحد الأطباء النفسيين يتفرس فيه بعمق:

- نريد أن نعرف منك مباشرة أسماء أولادك..

- صوفي، بيتر، فيلكس..

- (يا إلهي وأنا أيضاً أسماء أولادي هي: صوفي، وبيتر وفيلكس) هكذا ردد موريس..

- ما نوع السيارة التي تقودها يا موريس؟

- إنها بويك ببابين..

- وأنا أيضاً أقود سيارة من نوع (بويك) وببابين أيضاً..

- جيم.. أنت في منزل (موريس) يمكن أن تتجول فيه وتقول لنا رأيك بترتيبه و.. مفروشاته..

- يا إلهي.. منذ أن دخلت شعرت كأنني في منزلي، هاهي المقاعد طريقة ترتيبها الستائر الملونة بالأزرق السماوي، المكتبة، نوع التلفزيون، ترتيب المطبخ؟

تجوّل جيم في المنزل مدهوشاً وعاد إلى غرفة الاجتماع..

- حدثنا عن الذي رأيته يا جيم؟

- كأنني في منزلي تماماً..

- سأتكلم مع بيتي لتحضر الأولاد إنها في منزل والدها القريب من هنا..

قال جيم:

- (سأخرج لأحضر زوجتي من السيارة) ولكن كلباً سدَّ عليه المدخل:

- ما هذا؟ إنه كلب من نوع ذئبي، ما اسمه يا موريس..

- اسمه /ليدو/.

ضحك جيم:

- واسم كلبي /ليدو/ أيضاً يا إله السماوات كأننا شخص انقسم إلى شخصيتين متماثلتين تماماً..

كان كل من جيم وموريس يحدث نفسه:

- إن جيم يهوى السباحة والمطالعة وركوب الخيل وهي نفس هواياتي تماماً..

- موريس يقضي عطلته على شاطئ المسيسيبي، وأنا أيضاً تعودت منذ ثلاثين عاماً على قضاء عطلتي على شاطئ المسيسيبي..

- حتى زوجتي (بيتي) تشبه زوجته في طباعها..
- وترتيب الأولاد، صوفي الأكبر، ثم بيتر وفيلكس هو نفس ترتيب أولاد موريس..
وعاد الحوار من جديد يدور حامياً في منزل موريس:
- يبدو الأمر غريباً فعلاً.. هل تخضع الأمور للصدفة؟.. أقصد هل كل التشابه في طريقة الحياة بين موريس وجيم كان صدفة؟ هل ما يحدث للتوائم المتماثلة سببه الجينات أو المورثات التي تلعب دوراً فعالاً في جعل المشاعر متشابهة رغم الانفصال البيئي؟
- لاريب أن للجينات دوراً كبيراً..
- بالطبع، فالتوائم تشترك بنفس الجينات التي انقسمت عند انقسام البيضة الملقحة بشكل متساوٍ تماماً.. وهذا ما يفسر التشابه المذهل في طريقة الحياة بين جيم وموريس اللذين عاشا بعيدين عن بعضهما نحو /48/ عاماً، دون أن يعلم أحدهما شيئاً عن الآخر..
وهكذا بدأ كل من جيم وموريس علاقتهما الأسرية بعد /48/ عاماً، وبعد عدة أشهر تعود كل منهما على الآخر..
وجربا التخاطر ونقل الأفكار بناء على طلب اللجان العلمية التي شكلها الدكتور جونسون، ورغم أنهما كانا يقيمان في مدينتين منفصلتين تبعد إحداهما عن الأخرى نحو /400/ كيلومتر فلم يكن يمضي يوم دون أن يتصل أحدهما بالآخر بالهاتف، وكانا يزوران بعضهما كل ثلاثة أسابيع..
ولكن إلى أي حد وصلا في نقل الأفكار والتخاطر عن بعد..؟
بعد أقل من عام تمكن موريس من التحكم في نقل أفكاره إلى جيم..
واجتمعت اللجنة العلمية من جديد:

– ها نحن نجتمع من جديد ولكن في منزل جيم هذه المرة..

– سنرى نتيجة التدريب على نقل الأفكار التي أكد لنا موريس أنه قطع فيها أشواطاً مثيرة..

قال:

– اشرح لنا يا جيم بالضبط ما ستفعله، وموريس بعيد عنك كل هذه المسافة..

– سوف يملي عليّ موريس رسالة من منزله، بالتخاطر وبحضور الدكتور جونسون، الذي يزور موريس الآن. في الساعة الرابعة بعد الظهر تقريباً.

جلس جيم منزوياً وهو يحدث نفسه:

(أنا مستعد لتلقي أفكارك الآن يا موريس، سأمسك القلم، أنا جاهز.. حسناً سأكتب: تفيد.. مصادر منظمة الصحة العالمية، أن ثمانين في المائة.. من سكان العالم.. النامي يعتمدون على الأعشاب الطبيّة في شفاء كثير من الأمراض والأدوية العشبية.. بخلاف الأدوية التركيبية.. الكيماوية رخيصة التكلفة واستعمالها أسلم عاقبة.. لأن آثارها الجانبية قليلة إن وجدت.. ولكن كثيراً من البلدان النامية تستخرج هذه الأدوية وتحضّرها، في ظروف غير صحيحة، وقلَّ أن تجد بلداً نامياً وضع معايير.. لصناعتها واستخدامها..)

كان يكتب مركزاً تفكيره.. والعرق يتصبب منه..

– سنتأكد إن كانت هذه الكلمات هي التي يمليها موريس من منزله البعيد الآن بحضور الدكتور جونسون..

– ياه.. لقد انتهيت هذه هي الرسالة التي أملاها على موريس..

– كيف كنت تشعر وأنت تكتب؟

– كان القلم يتحرك بشكل آلي، ودماغي يستقبل الكلمات ليكتبها القلم..

- (سنتصل الآن بالدكتور جونسون).
أدار أحدهم قرص الهاتف.. وطلب أن يتحادث مع الدكتور جونسون:
- دكتور.. أيمكنك.. أن تقرأ لي الرسالة التي أمليتها على موريس والتي أملاها موريس بدوره على جيم؟
كانت الرسالة متطابقة مع ما كتبه جيم.
كانت تجارب مدهشة أخرى على التوائم المتماثلة وقدراتها على التخاطر أكملها الدكتور جونسون، بالطلب من جيم بث رسالة عن طريق التخاطر إلى موريس.. ونجحت أيضاً هذه النقلة التخاطرية وأصبح التوءمان (جيم) و(موريس).. مشهورين في التخاطر ونقل الأفكار..
إن التوائم المتماثلة تحب بعضها لدرجة كبيرة.. لقد أكد (جيمس بروكلي) الذي يزيد عمره عن (97) عاماً وهو يتحدث عن علاقته بتوءمه (ادغار):
- إن شقيقي (ادغار) يفهمني تماماً، وتربطني به صداقة حميمة ولا أستطيع أن أمضي يومي دون أن أراه.. وهو يفهمني أكثر مما تفهمني زوجتي..

***

في معهد مندل لدراسة التوائم في روما اكتشف الدكتور (كيدا) وزملاؤه خصائص مدهشة في حالات التوائم المتماثلة..
يقول الدكتور (كيدا).. إن التوائم المتماثلة تتعامل بعفوية وخاصة التوائم الأنثوية حيث تحدث لهذه التوائم أول دورة شهرية في نفس الوقت..
والدكتور (كيدا) هو نفسه مؤسس معهد (كريكور مندل) في عام 1953 ولايزال حياً حتى الآن..
ويؤكد (كيدا) أن التوائم المتماثلة تصاب بوجع الأسنان في وقت واحد وتخلع أضراسها معاً، كما أن الصلع إذ أصاب أحد التوءمين يصيب الآخر أيضاً..

إن لهما نفس المورثات تقريباً؟

لكيدا كلمة شهيرة فهو يقول حول دراسة التوائم (التوائم لا تشكل بالنسبة لنا فضولاً للدراسة فقط، إنما نظرية علمية.. لقد قامت بكشف الكثير من أسرار الحياة البشرية)

كما أن الباحث (توماس بوشارد) من (مينسوتا) كان يجري دراساته حول التوائم المتماثلة وتوصل إلى نتائج هامة.. كالتشابه المذهل في الصفات الشخصية وغيرها..

أجرى (توماس بوشارد) دراسة على (350) توءماً متماثلاً واكتشف أن هذه الأزواج التوءمية العجيبة متشابهة فيما بينها تشابهاً مذهلاً في عدة صفات شخصية رئيسية تلعب فيها المورثات الدور الرئيسي..

من بين هذه الصفات التوتر العصبي وحب المغامرة..

واكتشف (بوشارد) أن 61 % من الشخصيات القيادية أتت بالوراثة..

وللمورثات أيضاً دورها في تقبل التجارب وفي الخيال المجنح والتوتر العصبي أيضاً وحب المغامرة وحالات الإحباط النفسي..

وما من شك أن للبيئة دوراً هاماً في اكتساب بعض المواصفات كالنزعة العدوانية والاختلاط الاجتماعي والعلاقات الإنسانية.. وكلها تؤثر عليها التربية تأثيراً مباشراً..

وهكذا نجد أن العلم كشف أسباب ظاهرة التشابه المذهل في الطباع بين التوائم المتماثلة، وبين أن بإمكانها نقل الأفكار والتخاطر عن بعض بسهولة فيما بينها.

4- تحدّي البيئة المعادية للحياة:

عندما ينتقل الإنسان من بيئته التي يعيش فيها إلى بيئة أخرى تغايرها في ظروفها المعيشية فإنه يقضي فترة من الزمن حتى يتمكن من التأقلم مع البيئة الجديدة.

الأسكيمو مثلاً هم سكان المناطق المتجمدة الشمالية. ماذا لو انتقلوا إلى خط الاستواء؟

لو انتقل أي فرد من الأسكيمو إلى بيئة استوائية حارة فإنه غالباً لايستطيع البقاء فيها فترة طويلة، بل يهرب من حرها إلى بيئة باردة تشابه في ظروفها بيئته الأصلية ورغم أن جسم الإنسان هش، فإنه له قدرة كبيرة على التكيف..

ما من شك أن جسم الإنسان له قدرة كبيرة على التكيف والعيش في أية بيئة طبيعية والتأقلم مع ظروفها ولكن هذا يلزمه بعض الوقت..

فسكان المناطق الباردة يختلفون في معيشتهم عن سكان المناطق الحارة، وأكبر تجمع سكاني في العالم يستقر في المناطق المعتدلة التي تتقارب فيها نسبياً درجات الحرارة في الصيف والشتاء..

فمن هذه المناطق بدأت مدنية الإنسان وحضارته المتعاقبة، ولكن أحياناً قد يوضع الإنسان في بيئة مختلفة عن بيئته التي يعيش فيها.. أو يتحدى الظروف الطبيعية غير المهيأة للحياة أحياناً..

كالذين يغوصون في أعماق البحار، أو الذين يسافرون إلى الفضاء..

هذا النوع من الانتصار على البيئة، أعطاه العلم للإنسان.

لباس الغوص يحميه من الضغوط العالية في الأعماق ويؤمن له الأوكسجين اللازم لحياته وكذلك بالنسبة لرواد الفضاء.. يحميهم لباسهم الخاص من كل التأثيرات التي يمكن أن تنهي حياتهم..

تركيب لباس الفضاء أكثر تعقيداً من تركيب لباس الغواصين، ولكن قد يتحدّى الإنسان أحياناً عوامل طبيعية قاسية.. دون أجهزة حماية..

في تسلق الجبال العالية.. يعتبر غزو قمة أفرست في جبال هيمالايا بالهند.. والوصول إلى القمة وتحمل الظروف القاسية فوقها، أكبر تحد للظروف الطبيعية.. لأن الحياة ليست صعبة فوق قمة (أفرست) فحسب.. بل يعتبر الوقوف فوقها لدقائق من الأمور غير الطبيعية، يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو (9) آلاف متر..

في كانون الثاني 1986 نجح متسلقان سوفييتيان في تسلق القمة؛ ضربا رقماً قياسياً في البقاء فوقها وتحمل الرياح الشديدة والبرد الشديد، لمدة زادت عن ساعة كاملة.

كل المتسلقين الذين نجحوا في الوصول إلى (أفرست) وهم قلة استخدموا كمامات الأوكسجين فوقها. ولم تفارقهم تلك الكمامات طيلة وقت مكوثهم هناك، فمن الصعب تنفس الهواء المخلخل في تلك الارتفاعات ولكن بعض المتسلقين فعلوها، خلعوا الكمامات وتنفسوا من الهواء المخلخل.. ولمدة ربع ساعة..

من هؤلاء المتسلقين متسلقان شجاعان.. وصلا قمة أفرست لأول مرة بعد أن فشلت بعثات التسلق الأخرى قبلهما في الوصول إلى القمة ولكن من هما؟.. وكيف استطاعا الوصول إلى تلك القمة الشامخة؟

كانت قبيلة (شيربي) إحدى القبائل التي تقطن جبال الهيمالايا، وكان أحد المتسلقين المذكورين ينتمي إليها واسمه (تيسنغ) واسم الرجل الآخر (هيلاري) أحد أشهر متسلقي الجبال النيوزيلانديين..

كان تينسنغ عضواً في أقوى فرق متسلقي الجبال.. في منطقة الهيمالايا، كان

متمرساً بالتسلق وكان متمرساً بأشياء أخرى أيضاً..

في أوائل الخمسينات كان (تينسنغ) يجلس في زاوية من بيته تطلّ على الجبال، حيث سمع صوت زوجته:

– جاءك ضيوف.. يبدو أنهم من متسلقي الجبال:

– نعم.. ونرغب باصطحاب زوجك كدليل لنا في رحلتنا المقبلة..

– عاد أول أمس، كان مرافقاً لبعثة تسلق سوفييتية أرجوكم لا تطلبوا منه ذلك، لا نراه بيننا إلا لماماً..

دخل تينسنغ، كانت زوجته تتهامس مع الضيوف، رحب بهم وعرف أن هيلاري النيوزيلاندي قد أرسلهم.

– يرغب في رؤيتك هذا المساء، في المعسكر المقام على الطرف الجنوبي للقرية.

في المساء ارتدى ثيابه السميكة وقبعته المبطنة بالفرو وقبل خروجه سألته زوجته – هل ستتأخر؟

– لا تقلقي، سأعود قبل منتصف الليل.

– رحلة تسلق جديدة لا أراك كثيراً، دوماً في سفر، وأظل قلقة عليك، وعندما تعود لا تقيم سوى بضعة أيام، تعود بعدها إلى المغامرة. وجهك يبدو عليه التعب..

– سأرتاح العام القادم، وسنذهب في رحلة إلى الجنوب ونزور بلاداً كثيرة، لا تخافي علي. صحتي جيدة، وقوة تحملي ممتازة، لا اشكو شيئاً، سأدعو هيلاري غداً إلى البيت لتناول الطعام.

– كما تريد يا(تين).

والتقى الصديقان وتعانقا بحرارة.

- مضى وقت طويل لم نتقابل به.
- نعم، حوالي ثلاثة أعوام..
- لن أنسى تلك الفترات التي قضيناها في تسلق قمم الهيمالايا.
- لم يبق سوى (أفرست)..
- نعم، وأنا قادم لهذا الأمر، ما رأيك؟

***

لم يمانع تينسنغ، ولكن زوجته (كوي) بكت كثيراً محاولة أن تمنعه من قبول المهمة:

- (أفرست) خطرة جداً يا تين..
- حين أنجح في الوصول إلى قمة (أفرست) سأتقاعد. لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام.

وهكذا استعد الرجلان لتسلق قمة أفرست..

وفي مثل هذه الحالات تقام معسكرات متتالية على ارتفاعات مختلفة. بلغ عدد المشتركين في الرحلة (200) شخص انقسموا لعدة مجموعات كل مجموعة خيمت في منطقة على الطريق إلى القمة..

ومن الأدوات التي يستخدمها متسلقو الجبال بلطات جليد، مطرات للماء، أحذية خاصة، أربطة وحبال قوية، وملابس حماية، ومؤن ومعدات يحتاجونها..

كلما ارتفع الإنسان عن سطح البحر يخف الضغط ويتخلخل الهواء، لذلك يحتاج للأوكسجين إضافة لأجهزة لقياس الضغط والحرارة والارتفاع عن سطح البحر.

كانت هناك صعوبات كثيرة عانى منها الرجلان، وهما يجتازان الارتفاعات

في طريقهما إلى أعلى قمة في العالم..

***

كانت الرياح تزداد بشكل غير معقول وقد تابع الرجلان تسلقهما بعد أن تركا بقية الرجال، إنه التحدي الأكبر في حياة كل منهما، الوصول إلى قمة أفرست..

– يا إلهي إنها عاصفة ثلجية شديدة.

– نحن نقترب من القمة، بضع عشرات من الأمتار.

– ضع كمامة الأوكسجين، أحسُ بالحاجة لهواء نقي.

وبعد استراحة قصيرة تابع الرجلان الاتجاه نحو القمة العالية.. والرياح تزداد حدتها، صرخ تينسنغ ليسمعه هيلاري وسط صوت العواصف الثلجية التي تئن أنيناً مرعباً:

– سأتسلق هذا النتوء وأدلي لك بالحبل.

– (انتبه جيداً..)

كان هيلاري يحدث نفسه وهو يراقب تينسنغ:

– (كم هو شجاع؟ إن الوصول إلى القمة ظل حلماً داعب خيالي منذ سنوات طويلة، إن وصلنا سالمين سيكون الفضل لهذا الرجل الطيب)

أمسك الحبل (سأعلقه بالحلقة، يبدو أن القمة التي سأتسلقها شديدة الانحدار، لقد تسلقها تينسنغ بخفة القرد)

سمع صراخه من جديد:

– هل أسحبك؟ تمسك جيداً..

– لا داعي لذلك.. سأعتمد على نفسي..

ولكن هيلاري أفلت الحبل فسقط يتأرجح مرتطماً بحافة الصخور المنحدرة..

فسارع تينسنغ لسحبه بقوة والرياح الشديدة تكاد تقتلعه.. وبعد جهد كبير تمكن من إيصاله إلى الفسحة الصغيرة فوق الثلوج المتراكمة:

– ماذا حدث لك؟

– وضعت ثقلي فوق نتوء في الصخر، فانهار تحت رجلي وهويت، لو لم يكن الحبل مربوطاً جيداً بالحلقة، لكنت الآن أرقد في أعماق أحد الأودية.

– سنستريح قليلاً، أرني يدك، يبدو أن جرحها صغير، هل تؤلمك؟

– ليس كثيراً.

– سأنظف الجرح وأضمده، تمدد هنا..

وبعد قليل:

– كيف حالك الآن؟ هل نبدأ من جديد؟ ساعة أخرى ونصل القمة.

ازدادت الرياح حدة، قال هيلاري:

– إنها رياح شديدة تكاد تقتلعني..

– تماسك جيداً، وثبت كمامة الأوكسجين، سأبدأ الصعود وألقي لك بالحبل. دقائق قليلة ونصل سقف العالم..

وبعد دقائق سمع هيلاري صراخ تينسنغ:

– هيا يا هيلاري، سألقي لك الحبل، أنا فوق قمة أفرست الآن.

– الرياح عاتية، والثلج يتساقط بغزارة.

– تمسك جيداً بالحبل، سأسحبك.

وأخيراً وصلا سقف العالم. خلع تينسنغ كمامة الأوكسجين ثمّ خلعها هيلاري والرياح تعصف حولهما. قال تينسنغ:

– وعدت زوجتي أن أتقاعد من هذه المهنة.

– كيف وأنت لاتزال شاباً؟

– ما دمت تسلقت أعلى قمة في العالم، تبدو كل عمليات التسلق الأخرى بالنسبة لي صغيرة وغير ممتعة.
صبّ تينسنغ الشاي ومازالا فوق القمّة.
سأله هيلاري:
– أتحس بضيق في التنفس؟
– ولدت على ارتفاع أربعة آلاف متر فوق سطح البحر وأفراد قبيلتي، قبيلة (شيربي)، يملكون رئات خاصة تختلف عن رئات قاطني الأودية، نحن أيضاً لا يخيفنا مرض الجبال. أتعلم لقد صمدنا ونحن نتنفس الهواء المخلخل فوق القمة هنا.. ربع ساعة بالتمام، وهذا رقم قياسي.. سنلتقط الصور. قبل أن نهبط.
وهكذا نجح الرجلان في تسلق قمة أفرست.. ومكثا فوقها متحملين الرياح الشديدة والبرد القارس وقد خلعا كمامة الأوكسجين.. وتنفسا من الهواء المخلخل الذي يختلف عن الهواء العادي لمدة ربع ساعة..
من المعلوم أن الأوكسجين في الهواء العادي موجود بنسبة تعادل أربع مرات في الهواء فوق الهيمالايا، لأن الضغط في الأعالي هناك يكون منخفضاً، فإن عدد ذرات الهواء في السنتمتر المكعب أقل بأربع مرات من عدد الذرات الموجودة في الجو العادي.. أي في ضغط جوي طبيعي..
ولم تكن رحلة الهبوط أقل خطراً من رحلة التسلق في حالة تينسنغ وهيلاري. حيث حدث انهيار جليدي وسقط هيلاري وسط ركام الجليد وبصعوبة تمكن تينسنغ من إنقاذه:
– أصابتني قطعة من الجليد المتساقط من أعلى فوق رأسي، وأفلتت أصابعي الحبل، فسقطت في وقت حدوث الانهيار الجليدي..

– تكوّم الجليد فوقك.. أرجو أن لا تكون إصابتك بليغة. سأضمد لك ساقك، وأحملك على ظهري.

– كيف؟ هذا صعب..

– سنتخلص من بعض الأدوات غير المفيدة لنا الآن.. ونهبط سوية..

وهكذا وصل المتسلقان أول معسكر أقاماه على سفوح الهيمالايا وتم علاج هيلاري.. وقد استقبلا لدى عودتهما استقبال الأبطال، إذ كانا أول رائدين نجحا في تسلق أعلى قمة في العالم وقد أقاما في طريق صعودهما أحد عشر معسكراً، على طول الطريق نحو قمة أفرست.

كان تينسنغ أكثر تحملاً من هيلاري فقد عمل دليلاً لعدة سنوات في جبال الهيمالايا وكان عضواً في أقوى فرق متسلقي الجبال، وكان كثيراً ما يمكث في المناطق المرتفعة لعدّة أشهر.. وقد ولد على ارتفاع أربعة كيلومترات فوق سطح البحر وهو من قبيلة مشهورة بقدرتها على تحمل الضغوط المنخفضة.

كما كان هيلاري يتمتع بصفات فريدة، إذ نتيجة لتحمله المناخات القاسية، الشديدة البرودة، ولتسلقه المستمر للجبال، نمت عنده قدرة مقاومة البرد الشديد، بل والقدرة على اقتصاد الطاقة عند التسلّق الشاق وتعبئة جسمه بالاحتياطي من الحرارة، ولولا الخبرات السابقة لما استطاع الرجلان تسلق تلك المنحدرات الشامخة، وقد ساهم التعاون أيضاً في فوزهما وانتصارهما، على تلك الظروف القاسية.. كما أن تنفسهما من هواء القمة، وهو هواء مخلخل لمدة ربع ساعة كاملة، يعتبر عملاً مدهشاً..

ورأت زوجة تينسنغ زوجها يتقلد وسام الشجاعة من الدرجة الأولى مع هيلاري كأول متسلقين لقمة أفرست في الهيمالايا تلك المنطقة الغريبة المليئة بالأسرار..

5- صياد الثعابين:

تأقلم الإنسان مع البيئة الصعبة مستحيل في بعض الأحيان، جسم الإنسان هش، قد يصاب سريعاً بالمرض، ورغم ذلك فأحياناً له قدرة كبيرة على التكيّف في أية ظروف طبيعية خلال مدة قد تطول أو تقصر حسب استعداده لذلك.. للجسم البشري ظروف خاصة تلائم حياته.. تحدي الإنسان للظروف الطبيعية أمر معروف.. ولعل أكبر مثال على ذلك غزو الفضاء والمحيطات وغزو القمم العالية المرتفعة.. لأن غزو الإنسان للفضاء يحتاج للانتصار إلى عدة عوامل، طبيعة الفضاء الكوني تتصف بصفات من المستحيل على الإنسان اجتيازها دون وقاية، فالضوضاء وانعدام الوزن وزيادة السرعة وغير ذلك.. يجب التغلب عليها تماماً حتى يستطيع الإنسان التسرب إلى الفضاء والهبوط على الكواكب.

أمّا الغوص في المحيطات لو حاول شخص عادي الغوص مثلاً إلى الأعماق التي يصل إليها صيادو الإسفنج فإنه لا يستطيع تحمل الظروف القاسية، فلرئات صيادي الإسفنج صفات خاصة تمكنهم من التعود على الظروف الصعبة عند الغوص في الأعماق. (يعتمد كل ذلك على الممارسة المستمرة والتدريب الشاق).

قصة حقيقية أخرى مازال صاحبها حياً يتمتع بصحة جيدة، هو رجل من المغرب له مع الثعابين حكاية طويلة. هو من منطقة الرحامنة التي تشتهر بأنها أكثر المناطق جفافاً وقحطاً في جبال مراكش..

كان (عبد الرحيم العلمي) شاباً صغيراً في نحو العشرين من عمره، شغل الرأي العام ومراكز البحوث العلمية لعدة سنوات. بدأت قصته في أحد الأيام وكان في الثامنة من عمره. وكان والده يعمل في صيد الثعابين وبيعها لمراكز

البحوث العلمية في أوروبا. قال له والده في ذلك اليوم:
- عبد الرحيم سترافقني اليوم يا ولدي في رحلة صيد الثعابين..
استغرب الصغير، ولكنه كان فرحاً وهو يسمع والده يقول له:
- يجب أن تتعلم هذه المهنة لتساعدني، وهي ليست مهنة سهلة، استعد للرحيل، وأخبر والدتك أن تجهز لنا الطعام، وتلفه في صرّة فسنتأخر عن رحلتنا حتى المغيب.
وهكذا بدأت رحلتهما، الرجل المجرب، والصبي الصغير الذي كان كل شيء يبدو له غريباً وهو يمشي وراء والده بهدوء فوق الشوك والعشب اليابس، همس والده بغتة:
- إنه ثعبان كبير، أسود مرقط، إنه من أخطر أنواع الثعابين، لنهرب يا عبد الرحيم، هيا اركض.
- لماذا؟
- لا قدرة لنا على اصطياده، إنه سام وخطِر جداً.
ولكن الصبي لم يهرب، رأى الثعبان أشبه بلعبة، ولم يفكر بخطره، سمع والده يصرخ من بعيد (اهرب يا عبد الرحيم.. اهرب)، رمقه والده برعب كان الثعبان يتجمد في أرضه، والصغير يمسكه من ذيله ويشده، ثم يضربه بالأرض.. وهمس بهدوء بعد أن انتهى:
- لقد مات.. يمكنك أن تضعه في الكيس..
- إنك متهور يا ولد، ماذا لو لدغك؟
- ولكنه خاف مني، وقد مات.
- إنك طائش لن أصطحبك معي بعد اليوم..
وحين عاد الأب إلى البيت ومعه الصبي العجيب، أخبر أمه بالحادثة وهو لا

يكاد يسترد أنفاسه:

– أتصدقين؟ هذا الولد الطائش، اقترب من الثعبان السام، وشده من ذيله ورفعه وضربه بالأرض عدة مرات حتى مات.

– لماذا سمحت له بالذهاب معك؟ أنا خائفة عليه.

– لن أعيدها ثانية، قد يسبب لي هذا الولد المتهور مأساة أندم عليها طول عمري، صحيح أن الثعبان المرقط كان نادراً وقد أعطوني بجثته مبلغاً كبيراً ولكن من يعلم ماذا سيحصل له مع ثعبان آخر!

وهكذا ذهب الوالد في اليوم التالي لصيد الثعابين، وبعد فترة سمع وقع خطوات وراءه، فالتفت ليجد الصبي يتبعه بإصرار:

– عبد الرحيم.. لماذا جئت؟ أمرتك أن تبقى في البيت، هيا عد.. بسرعة. لن أسمح لك بالمجيء معي.

– لن أعود.. يجب أن أتعلم هذه المهنة، لأساعدك.

– لن أسمح لك بذلك أبداً، لقد ندمت لاصطحابك معي المرة الأولى..

***

في أحد أيام العطل استيقظ الأب يهيئ نفسه للذهاب للصيد، تحدث للأم:

– يجب أن اصطاد اليوم أكبر كمية من الثعابين، الدكتور (انطوان) من معهد باستور في باريس ألحَّ عليَّ أمس أن أسلمه كمية الثعابين التي سأصطادها اليوم مساء، تعلمين أنهم يشترون الثعبان بعشرين فرنكاً فرنسياً.

– جهزت لك زوادة الطريق، خذ حذرك، عبد الرحيم مازال نائماً اليوم هو يوم عطلة .

ولم ينتبها لعبد الرحيم الذي كان جاهزاً للرحيل خلف والده وهو يردد بينه وبين نفسه (يجب أن ألحق به، لماذا يصر على عدم اصطحابي؟)

انتظر حتى خرج الوالد من البيت، ففتح الباب الخلفي واتجه يسير بهدوء خلف والده، تمهل الأب يبحث بين الصخور، فعثر على ثعبان مرقط يتوارى بين الأحجار كان ثعباناً مرقطاً، صغير الحجم، قبض عليه بمهارة وأودعه الكيس.

شعر الأب بوقع خطوات من ورائه "أحدهم يتبعني يجب أن أعرف من هو.. سأختبئ في هذه الزاوية وأفاجئه":

- عبد الرحيم، ماذا تفعل هنا أيها الشقي؟
- أرجوك يا أبي. اتركني معك اليوم..
- لو لم أكن مشغولاً، لعاقبتك، حسناً هيا ساعدني..
- حسناً يا أبي.. انظر.. اصطدت ثعبانين في الطريق، هذا الثعبان الرمادي، وهذا الثعبان الأبيض..
- كيف قبضت عليهما؟ إنهما من النوع الخطر..
- لم يكن الأمر صعباً..
- حذرتك يا شقي أن لا تستهتر بهذه الحيوانات وأن العبث معها مميت..
- لماذا؟ لم أر أي خطر..
- اصمت الآن، سأتركك معي هذا النهار، وفي البيت سأحاسبك..

وكان الصيد وفيراً ذلك اليوم، ولكن الأب كان غاضباً، تبادل الحديث مع زوجته:

- كيف سمحت لعبد الرحيم بالخروج من البيت؟
- اعتقدته نائماً، وحين تأخر الوقت دخلت إليه وجدت سريره فارغاً..
- حذرته أن لا يلاحقني، لا أريد ولداً مستهتراً مثله أن يتعلم هذه المهنة الخطرة، لن يعيش طويلاً لو ظل على استهتاره بالأفاعي والثعابين يجب أن

يفهم أن الأمر ليس لعبة أطفال..

- لا تقس عليه مازال صغيراً.

ولكنّه كان غاضباً منه:

- حذرتك أكثر من مرة أن لا تتبعني.. لا أريدك أن تسير على خطاي في صيد الثعابين.. يجب أن تتابع دراستك..

- فعلاً ليست مهنة متعبة، سأجعلها تدر عليك دخلاً أكثر.

- يا أحمق، لاتزال صغيراً على التعامل مع الأفاعي، أنت لا تعرف كم هي خطرة؟

- إنها حيوانات بلهاء، من السهل السيطرة عليها..

- قلت لامجال أن تعمل معي، لن أناقش الأمر معك.

- يا أبي، لماذا أنت عنيد أكثر من اللازم؟

- وتجرؤ أن تكلمني بهذه الطريقة؟ اخرج من بيتي أيها الشقي، لا اريد أن أرى وجهك.

حاولت الأم إصلاح ذات البين:

- عبد الرحيم، اعتذر من أبيك.

ولكنّ عبد الرحيم قال بعناد:

- لم أفعل شيئاً يا أمي.

ازداد غضب الأب (اخرج من هنا أيها الوغد.. لا أريد أن أراك) دفعه خارج المنزل وأغلق الباب.

بكت الأم بخوف:

- إنه ولد صغير..

- ولد وقح، يحتاج لتأديب..

- أين ذهب الآن؟ الوقت متأخر، بعد قليل يعم الظلام..

- (لا تقلقي سيعود نادماً)

وبعد ساعات مرت من الانتظار:

- لم يعدّ حتى الآن.. ساعة البيت تدق الثانية عشرة..

- سأخرج لأبحث عنه..

- وحدك؟

- سأذهب أنا و(حمد) جارنا..

***

واستمر البحث عن الصبي حتى الصباح. ولم يعثروا على عبد الرحيم.. وبعد بحث استمر عدة أيام عثروا عليه، في الجبال الجرداء وبين الصخور المرتفعة، كان بصحة جيدة. كان يأكل اللحم بهدوء، ولم يفاجأ برؤية والده وجيرانه. تأمل والده اللحم الذي يأكله وسأله وهو يرمقه بإعجاب:

- ما هذا اللحم الطري، هل اصطدت أرنباً؟ ما هذا؟ جثث ثعابين كثيرة هنا. أيمكن أن تكون هذه اللحوم التي أكلتها لحوم ثعابين؟

- نعم يا أبي إنها لذيذة الطعم..

- يا ساتر.. ماذا تفعل يا مجنون؟ سآخذك للطبيب فوراً.

وهكذا حكى الأب القصة للطبيب المختص، وأجرى عليه فحوصاً وتحاليل عامة:

- أجرينا على جسمه مختلف الفحوصات، إنه سليم تماماً..

- ألم يؤثر فيه السم؟

- يبدو أن معدته تهضم السم ولا تتأثر به.. لا توجد أية أعراض تسمم في دمه أيضاً، إنها حالة غريبة..

همس الأب لنفسه: (لقد انتصر عليّ هذا الصبي سيرافقني في رحلات صيدي من الآن)

كبر عبد الرحيم، وأصبح متمرساً في صيد الثعابين كان يمسك برأس الثعبان وبضربة واحدة يميته مهما كان الثعبان ضخماً. وكان والده يسمع عباراته الغريبة وهو يتحدّث للثعابين:

– لاشك أن لحمك لذيذ، لن أفوت الفرصة سأشويه على النار.

وأحياناً كان هذا يغضب والده:

– أنا أبحث عن الثعابين لأبيعها وأنت تبحث عنها لتأكلها..

وازداد استغراب الناس وهم يرون ما يفعله عبد الرحيم:

– هذا الفتى أمره عجيب فعلاً إنه يجذب الثعابين إليه كأن له قدرة كبيرة على مطاردتها وجذبها من أوكارها فتأتي إليه خانعة ذليلة مستسلمة.

– قل لي أيها الرجل، هل يمارس الفتى هذه الهواية منذ زمن بعيد؟

– إنه في التاسعة عشرة الآن وقد بدأ يصطاد الثعابين منذ أن كان في الثامنة..

– ولم يلدغه أحدها حتى الآن؟

ضحك الأب من هذا السؤال وأجاب بثقة:

– إنها تخاف منه، تصوّر، مهما كان الثعبان شرساً تجده يتجمد في أرضه حتى يأتي عبد الرحيم ويقبض عليه. إن الثعابين تخافه ولا يخافها..

– أيأكل أحياناً رؤوس الثعابين؟.

– الذي أعرفه أن الثعابين الصغيرة تصبح طعاماً سريعاً له دون أن يترك منها شيئاً.. أحياناً يشويها وأحياناً يأكلها نيئة..

ورأى علماء الحياة ما يفعله عبد الرحيم على الطبيعة:

– هذا الثعبان الضخم كيف يجرؤ الفتى على سحبه من بين الصخور؟

– إنه يهزه ويضرب به الأرض..

اقترب منه أحدهم يسأله:

– اسمع يا فتى، لو هاجمك أكثر من ثعبان ماذا تفعل؟

– صدقني يا سيدي، إنها حيوانات تافهة حمقاء، تجبن حين تهاجمها، وتسقط في يدك.

كان يضع عنق الثعبان في فمه ويقطع الرأس والدماء تبلل فمه.

– ألن تأكل الرأس؟

– لا أستسيغه أحياناً، إن كان ضخم الحجم، فأقتطع قطعة كبيرة من بطنه وآكلها نيئة.

***

– (وكتبت الصحف الكثير من المقالات عن جرأة عبد الرحيم العلمي) في الثامنة والعشرين من عمره الآن، أصبح يتفنن في طهي الثعابين.. بعد أن كان في صغره يأكل الثعبان دون تنظيف، أما الآن فهو يذبحه ويفصل رأسه عن جسده، وينظف أمعاءه ويسلخ جلده، وقد يتسلى بأكل أكثر من قطعة نيئة منه قبل أن يشوي الباقي وأحياناً يأكلها برؤوسها إن كانت نيئة..

لقد أجرى اختصاصيون من معهد باستور الفرنسي عليه عدة تجارب لمعرفة أثر السم وتوصلوا إلى نتائج مذهلة.. في السنوات الأخيرة كان الخبراء يشترون من والد عبد الرحيم كمية كبيرة من الثعابين وحين سألوه عن سر هذه الأعداد المتنوعة الضخمة من الثعابين أخبرهم عن ابنه، لم يصدقوه أولاً، ولكن اجتماعهم بعبد الرحيم أذهلهم. تساءلوا فيما بينهم وهم يرون بنيته القوية:

– عجيب أمره؟ ألا يتأثر بالسم؟ يبدو واثقاً من نفسه، قوة احتماله كبيرة. ما رأيك أن نجري تجربة علمية لنعلم قوة احتماله..

طلبوا من والده الموافقة على إجراء اختبارات على قوة تحمله فقال:

– وإن كنت متأكداً أنه سينجح في هذه التجارب إلا أنني خائف.

– معنا لجنة طبية مجهزة بكل الوسائل لإيقاف زحف السم إن تأثر به ولدك، لا تقلق..

وهكذا جهزوا كوباً من السم، ليشربه عبد الرحيم.. وأجلسوا الفتى على مقعد خاص موصول بأجهزة طبية لقياس الضغط وحركة القلب وذبذبات الدماغ..

تناول الفتى الكوب وشربه بهدوء:

– إنه لذيذ الطعم، أظنه مستخلص من الثعابين.

– راقب الأجهزة، إنها عادية تماماً.

لم يتأثر جسمه بكمية السم هذه التي يمكن أن تقتل عشرة رجال. كان الوالد مسروراً وهو يرى نتيجة الاختبار. نجح عبد الرحيم بتفوق، فجسمه غير عادي، كأنما أصبح السم بالنسبة له شراباً مغذياً.

***

كان عبد الرحيم مدهشاً في مقاومته للسم ومدهشاً أيضاً في حبه لهذا الغذاء الكريه الذي يفضله على أشهى أنواع الطعام. كل من في منطقة (الرحامنة) الصحراوية في المغرب يعرفه، إنه مشهور هناك ويلقبونه بأبي الثعابين.

من المعروف أن راسبوتين الراهب الدجال الذي أوشك أن يحكم روسيا القيصرية، كان يتمتع بقدرة كبيرة على مقاومة السم، إضافة لقدراته الأخرى في التنويم المغناطيسي والتخاطر عن بعد. هذا يؤكد على أن المران والخبرة والاستعداد النفسي للقيام بأي عمل مهما كان صعباً، قد يحقق المعجزات..

6- المرأة المكهربة:

يتمتع الإنسان بقوى خارقة ولكنه لا يستثمر سوى جزء ضئيل جداً منها، وهذا هو المبدأ الذي يجعل من يطور قدرته ويستثمر جزءاً أكبر منها يقوم بأعمال تبدو خارقة للآخرين..

وهناك أناس تولد عندهم قدرات، دون أن يعرفوا مصدرها، وغالباً ما تسبب لهم هذه القدرات المتاعب والآلام..

ولكن كيف تسبب قدرات خارقة للإنسان المتاعب له بدلاً أن تعطيه القوة والعزم للنجاح في حياته؟

قد تتولّد أحياناً بطريقة غير مألوفة طاقة كهربائية عالية عند إنسان ما فتسبب له الشقاء كما حدث (لجاكي بريشمان) مثلاً.. إنها سيدة إنكليزية من مواليد عام 1958.

ومنذ عام (1978) وكانت في العشرين من عمرها، وهي تعاني من أشياء غريبة تحدث لها.. فأينما انتقلت تتحطم المصابيح الكهربائية وتتغير محطات التلفزيون والراديو دون أن يلمسها أحد.. وذلك لأنها تملك طاقة كهربائية عالية، أثرت في الجو المحيط بها فسببت هذه الحوادث المزعجة باستمرار..

بدأت الأحداث عند جاكي في نحو العشرين من عمرها.. وكانت متزوجة، حدثت مشادة عنيفة في أحد الأيام بينها وبين زوجها:

– كان من اللازم أن تنتبه لنفسك؟

– لم أفعلها عن قصد صدقيني..

– كيف؟ أيمكن لإنسان أن يصدق أن الصحون والأوعية الزجاجية والخزفية تتحرك لوحدها؟

– يا عزيزتي لماذا وضعت كل هذه الأشياء فوق المنضدة؟

– تراكم عليها الغبار فغسلتها ونظفتها وانتظرت أن تجف لأضعها في الخزانة..

كم أنت مزعج يا موريس أشياء نادرة من الخزف كسرتها بغمضة عين..

– تزحلقت وكدت أن أقع فتشبثت بأقرب شيء إليّ فكان غطاء المنضدة الذي انسحب وسحب معه كل هذه الأشياء.. صدقيني يا جاكي لم يكن ذلك متعمداً..

– أنت غاضب مني لأنني تأخرت عليك في القهوة عندما حضر زميلك.. أعلم ذلك..

– ماذا تقولين؟ كيف يخطر على بالك أنني أتعمد تكسير الأشياء الثمينة في منزلي؟ هذا مستحيل..

– لا يوجد مستحيل عندك، أنت رجل مهمل عدواني..

صرخ بها موريس: (جاكي) تابعت كلامها غاضبة:

– بل وتمشي مع أصدقاء سخفاء دون عقل..

– جاكي..

– يجب أن تعرض نفسك على طبيب نفسي.. تغيرت كثيراً في الأشهر الأخيرة.. كل ذلك لأنني لا أرغب في إنجاب الأطفال الآن.. أصبت بهستيريا يا موريس.. أنت شخص ضعيف..

– جاكي اسكتي..

– وتصرخ في وجهي كأني خادمة لك، دون أن تراعي حرمة الجيران..

– (كفى.. كفى..) اتجه نحو غرفة النوم متألماً:

– إلى أين أنت ذاهب؟ إلى النوم في هذه الساعة؟

– سأرتدي ثيابي وأخرج..

– آه.. ستذهب للطبيب النفسي إنك تحسن التصرف لو اتجهت إليه رأساً، هيا يا عزيزي، أنت مريض.. ليعينك الله..

– وأين قمصاني؟ لا أرى قميصاً نظيفاً..

– عامل المصبغة.. أخذها قبل ساعة من حضورك ولن يعيدها إلا في الغد..

– يا إلهي.. ما أقساك يا امرأة سأرتدي أي شيء وأخرج قبل أن أنفجر من الغضب..

– اخرج ولا تعد..

– سأدعك تفكرين بكلماتك لي..

وهدأ غضبها بعد ذهاب موريس، وندمت لأنها قست عليه، وفيما هي منشغلة بترتيب البيت رن جرس الهاتف، رفعت السماعة بلا مبالاة (موريس يحاول إرضائي) هكذا كانت تفكر، ولكن صوتاً خشناً وصلها:

– السيدة جاكي؟

– نعم..

– نحن من شرطة النجدة.. وقع حادث لزوجك؟

– موريس؟!

– نعم.. موريس بولان، صدمته سيارة شاحنة.. كان يقود سيارته مسرعاً.. يقول سائق الشاحنة أنه ظنه مخموراً..

– وكيف هو الآن؟

– في وضع خطر يا سيدتي..

– يا إلهي.. موريس.. أين هو؟

– إنه في المستشفى المركزي قسم الإسعاف السريع..

- حسناً أنا قادمة..

أغلقت السماعة وقد هزّها الخبر، ولكن حين وصلت المستشفى وجدته قد فارق الحياة.. وتراكم عليها الهم والقلق والحزن والندم، أخذت تكلم نفسها بصوت عال في البيت:

(يا إلهي، مات موريس قتلته بقسوتي وطيشي، كان رجلاً طيباً لا يستحق تلك المعاملة السيئة.. ولكني كنت أمازحه فقط.. والله كنت أمازحه.. أنا أحبه كثيراً.. يبدو أنه حزن كثيراً لتصرفي معه كان غاضباً حين خرج من البيت.. يا إلهي.. يا إلهي ما هذا؟

المصباح الكهربائي في الغرفة ينكسر.. سأذهب للغرفة الأخرى، إن المصباح ينكسر أيضاً سأشغل التلفزيون، سأحرك مفتاح تغيير المحطات.. ها هي المحطة الرئيسية إنه فيلم مسل سأحاول النوم.. ضوء التلفزيون يكفي لرؤية الأشياء من حولي، ماذا حدث؟ المحطات لا تستقر على صورة؟ يا إلهي الصورة تنطفئ.. ماذا حدث؟.. يا إلهي أنا خائفة لعل شبح موريس يعذبني لينتقم من قسوتي عليه)..

***

بعد موت موريس بحادثة السيارة أخذت جاكي ترى أشياء غريبة حولها.. كانت تتوهم وجود شبح زوجها يطاردها..

وكانت أينما انتقلت تتحطم المصابيح الكهربائية وتتغير محطات أجهزة التلفزيون والراديو دون أن يلمسها أحد.. وقد اعتقدت فعلاً أن شبح زوجها يطاردها، خاصة أنه قبل موته تشاجر معها شجاراً عنيفاً..

وعادت الأمور الغريبة تحصل في بيت جاكي من جديد، وأعيتها تلك الأمور التي لم تجد لها تفسيراً..

أخذت تحدث نفسها بصوت عال لتطرد الخوف:

(سأغسل وجهي.. ربما تعود إليّ قواي قليلاً؟) وهي في الحمام تحطم المصباح أيضاً، ولإزالة نثرات الزجاج من الحمام أحضرت مكنسة كهربائية (يا إلهي المكنسة تتوقف عن العمل ما السبب في ذلك؟ سأطلب عامل الكهرباء) اتصلت بمهندس الصيانة، الذي حضر بعد ثلاث دقائق، كان شاباً وديعاً يبدو عليه الذكاء.. فحص بدقة الكهرباء في المنزل، وفحص المكنسة الكهربائية، ثم همس لجاكي:

- لا شيء يا سيدتي ليس هناك أي عطل.. المكنسة الكهربائية تعمل جيداً سأضع الآن مصابيح جديدة في البيت بدلاً من المكسورة..

سألته جاكي وقد بدا عليها الاهتمام:

- أتؤمن بوجود الأشباح؟

- ماذا تقولين يا سيدتي؟ أنا إنسان متعلم، أحمل شهادة في هندسة الكهرباء.. يعني أنني علمي، وأؤمن بمنطق العلم ولا أبالي بالخرافات بل وأحاربها..

- اسمع إذن..

- اسمي جورج، جورج بريشمان..

- وأنا جاكلين.. تستطيع مناداتي يا(جاكي)..

- تشرفنا..

- سأحكي لك القصة بالتفصيل..

قصت له جاكي كل شيء، وأرجعت السبب لشبح موريس زوجها المتوفي، أطرق جورج برشمان برأسه قليلاً ثم رفعه ونظر إليها قائلاً:

- إنها قصة غريبة.. أيمكنك تشغيل المكنسة الكهربائية الآن؟

- (نعم) ضغطت على زر المكنسة فعملت قليلاً ثم توقفت..
- اضغطي الزر جيداً..
- إنني أضغطه بأقصى قوة..
- غريب..
- (عاد شبح موريس ليطاردني) بدت قلقة ضعيفة..
- اهدئي يا جاكي.. أظن أنني توصلت للسر..
- (وما هو أرجوك؟) لم يكن متأكداً لذلك أعطته بعض الوقت لدراسة حالتها..

كانت تحدث نفسها بعد أيام:

- (غيرت المنزل.. لعل شبح موريس يبتعد الآن. أنا مستغربة من برودة مهندس الكهرباء لماذا يصر على أن الأشباح غير موجودة؟) كانت الحالة الغريبة تتكرر (عاد شبح موريس.. إنه يطاردني أينما ذهبت يا إلهي سأتصل بجورج.. لعله يساعدني)

أدارت رقم الطوارئ:

- من فضلك أريد أن أتكلم مع السيد جورج بريشمان..

وحضر جورج بعد نحو الساعة وكان ذهنه قد تفتّق عن حل..

نظر جورج بريشمان المهندس الكهربائي إلى المشكلة نظرة منطقية وصمم على إيجاد حل لها، مهما كان هذا الحل صعباً..

وعثر على هذا الحل أخيراً حيث تزوج جورج من جاكي.. التي رأت فيه إنقاذاً لها من شبح زوجها الذي اعتقدته أنه يطاردها، ولكن هل تمكن من الوصول لحل؟..

لقد أخضع زوجته لتجارب كثيرة.. دون أن تدري.. وتوصل لنتيجة اعتقدها

صحيحة تماماً..

***

– اسمعي يا عزيزتي.. استطعت أخيراً الوصول إلى السبب الحقيقي في المشاكل التي تمرين بها..

– ماذا يا جورج؟ أخبرني أرجوك؟

– تملكين يا عزيزتي كمية كبيرة من الكهرباء الساكنة، تكمن في النظام الداخلي لجسمك..

– وما هو الحل؟

– لست أدري.. لن أيْئَس من السعي لإيجاده..

ومرت سنوات وجورج يفتش عن حل، إذ كان الوحيد المؤهل لحل مشكلة زوجته، فما دام هناك خلل في نظامها الداخلي، فيجب عليه كخبير في الكهرباء معرفة هذا الخلل وطريقة حله.. ورغم المصاعب التي مرت بهما في حياتهما الزوجية، فقد كان جورج صابراً يبحث بهدوء عن الحل، وازدادت المشكلة تعقيداً..

فقد أصبحت جاكي تكهرب من تلمسه.. وأصبح لديها ثلاثة أطفال كانت تربيتهم مشكلة كبيرة عليها فأحياناً تزداد الكهرباء الساكنة فيها، فلا تتمكن من مداعبة أطفالها أو القيام بأعبائهم..

ولكن ذلك لا يعني أن الكهرباء الساكنة لم تكن مستمرة في جاكي فلقد كانت شحناتها الكبيرة موجودة في جسمها، ولكنها كانت أحياناً تزداد فتؤذي من حولها وتسبب كسر المصابيح الكهربائية وتغيير محطات الراديو والتلفزيون وأحياناً كانت تسبب الأذى لزوجها وأطفالها، بإفراغ بعض شحنات جسمها فيمن تلامسه منهم..

ولاشك أن هذا كان مرهقاً ومتعباً للأسرة كلها..

حتى أنها في الأشهر الأخيرة من عام 1986 لم تعد تقبّل زوجها أو تحدب على أطفالها نتيجة الشحنة العالية في جسمها ولكن ماذا كانت نتيجة أبحاث زوجها؟

لقد توصل جورج بريشمان إلى نتيجة بدأ يطبق علاجه على أساسها. وهي أن ما تملكه زوجته من طاقة كهربائية ساكنة سببها وجود خلل في الحموض والقلويات في داخل الجسم..

ولكن جاكي كانت تتعذب وقد ازدادت مشاكلها وحساسيتها المفرطة..

- جورج أكاد أجن، أصبحت حياتي جحيماً..

- لا تقلقي يا حبيبتي، سنصل إلى حل للمشكلة..

- ومتى يا جورج؟ لا أطيق الاستمرار في العيش مسببة الأذى للآخرين..

- تعلمين يا جاكي أن كل الأجسام تملك كهرباء ساكنة..

- نعم..

- ولكنك تحتفظين بعشرة أضعاف الكمية العادية..

- لماذا؟ ما هو السبب؟

- بسبب عدم التوازن القلوي في جسمك فإنه يحتفظ بالشحنة الكهربائية دوماً.. وهذا ما يسبب انفراغ الشحنة المستمر المؤثر فيمن حولك..

- يا إلهي ولماذا أنا بالذات؟

- جسم المرأة يا جاكي هو الأكثر قابلية للتغييرات الكهروكيماوية من جسم الرجل..

- آه من حظي التعس..

- اهدئي يا حبيبتي، ما دمنا توصلنا لسبب المشكلة سنتوصل للحلّ حتماً.

- ومن أين يأتي هذا الحل؟ يا إلهي أنا يائسة تماماً.. يا لأطفالي المساكين..

وقد وضع جورج مشكلة زوجته أمام الدكتور (والتر ويب) أحد كبار الاختصاصيين في الكيمياء، أمهله الباحث عدة أيام.. ثم طلب منه الحضور إليه:

- اسمع يا جورج أعتقد أنني توصلت إلى حل مشكلة زوجتك..

- أنت الوحيد من بين أصدقائي باختصاصك الكيميائي تستطيع أن تصل إلى حل فعلي.. عجل بربك أخبرني ما هو؟

- مادام هناك عدم توازن قلوي عند زوجتك فيجب عليها أن تزيد من تناول الحمضيات والخضراوات لزيادة الأحماض في جسمها..

- هذا سهل..

- زيادة الحمض يخفف من الزيادة الكبيرة في القلويات حيث تنتج عن هذه التفاعلات أملاح تطرح عن طريق البول..

- سأجرب هذه الطريقة فوراً..

- نعم.. وأخبرني من فضلك بالنتيجة بسرعة..

وهكذا طبق جورج بريشمان على زوجته اقتراح الدكتور والتر:

- يا إلهي.. أصبح طعامي الرئيسي مقتصراً على الخضراوات والفواكه تقريباً..

- يجب زيادة الأحماض في الطعام كما قلت لك.. سترين النتيجة بنفسك..

- فعلاً هي المرة الأولى منذ سنوات التي أجرؤ فيها على ممارسة حياتي العادية مع من حولي.. ولكني قرفت هذا النوع من الطعام يا جورج..

- يجب أن تصبري..

- إلى متى؟

- حتى تعود الكهرباء الساكنة إلى طبيعتها..
- أيمكن أن تعود؟
- أرجو ذلك..
ولكن تلك الحال لم تستمر طويلاً، عادت جاكي تسبب الأذى لمن حولها:
- يا إلهي.. عادت إليّ الحالة الخطرة أصبحت أمّاً خطرة على أولادي.. وأصبح جورج يخاف مني.. المسكين لا أظن أن رجلاً في العالم يضحّي من أجل زوجته بقدر ما يضحي من أجلي..
كانت جاكي قد تركت تناول الخضراوات فسببت في أحد الأيام مشاكل كهربائية في البيت وعاد جورج في ذلك اليوم وكانت جاكي تحس بالذنب، نظر إليها جورج طويلاً قبل أن يسألها:
- لماذا أنت واجمة؟ أحدث شيء جديد؟
- بدلت مصابيح الكهرباء مرتين.. وجهاز التلفزيون يبدو عاطلاً وقد ذهب الأولاد إلى البيت المجاور للتفرج على مباراة كرة القدم..
- أنت المخطئة.. ما كان يجب عليك التخفيف من الخضراوات والفواكه..
- وماذا أفعل؟.. صرت أقرف منها.. وتنتابني لدى تناولها حالات من القيء والغثيان..
- الدكتور والتر يبحث عن حل جديد.. وهذه المرة سيكون حلاً حاسماً..
- أرجو ذلك.. أصبحت معذبة يائسة وكنت سعيدة بعد أن أصبحت الكهرباء الساكنة في جسمي طبيعية لعدة أشهر ولكن حالتي عادت من جديد..
- لن أيْئَس من الوصول إلى حل..
- لأنك تحبني.. وأنت أعظم زوج في بريطانيا..
- لا تبالغي..

- هي الحقيقة.. اسمع يا جورج؟ نعم..

- حين أتابع تناولي للخضراوات والفواكه تقل الكهرباء الساكنة، وحين أخفف من تناولها تعود إلى طبيعتها أي أنه لا حل حاسم لمشكلتي..

- نحن نبحث عن مادة تعيد جسمك إلى طبيعته.. لابد أنها موجودة.. وسنصل إليها حتماً..

- آه.. يا إلهي.. كم سيكون هذا اليوم سعيداً و.. ولكني يائسة..

ولكن جرس الهاتف رن في تلك الليلة وكان الدكتور والتر هو المتكلم:

- اسمع يا جورج..

- نعم يا دكتور والتر.. هل وصلت إلى نتيجة؟

- نعم.. تعال إلي بسرعة..

وضع جورج السماعة واتجه صوب مختبر الدكتور والتر على جناح السرعة، وتأخر عن العودة فشعرت جاكي بالقلق:

(إنها التاسعة والنصف.. أرجو أن يوفق في إحضار العلاج المناسب.. كان الدكتور والتر واثقاً من الحل).

وحضر جورج أخيراً ومعه كيس كبير كان يجره جراً:

- كيف حالك يا جاكي.؟

- ما هذا؟ ما الذي في هذا الكيس الكبير؟

- إنه كيس من البصل..

- عندنا ما يكفينا لمؤونة هذا العام..

- لا.. لن يكفينا كل ما عندنا لعشرة أيام فقط..

- ماذا تقصد؟

- من الآن ستبدئين بأكل البصل..

- البصل؟

- نعم، إنه يساعد على تفريغ الشحنة الكهربائية بسرعة..

- أحقاً؟

- نعم يا عزيزتي..

***

وبعد يومين همست جاكي لجورج بفرح:

- هذا البصل فعل المعجزة التي كنا ننتظرها..

- قلت لك لابد أن نصل لحل.. وقد أحسنت صنعاً بحمل البصل إلى كل مكان تذهبين إليه..

- أنا أحب البصل ولن أمل منه..

- ستتناولينه لشهرين متتابعين.. حيث سيعدل الشحنة الكهربائية في جسمك سريعاً. ويعيدها إلى طبيعتها نهائياً أي لن تعود مشكلتك من جديد..

- معقول؟

- نعم لا تقلقي..

وهكذا مرت أسابيع على تناولها البصل..

- جورج أنا فرحة كثيراً.. لا أكاد أصدق أنني عدت لطبيعتي.. إذا صدف وازدادت كمية الكهرباء الساكنة في جسمك فالبصل موجود ومفعوله طويل الأجل..

- أين الأولاد يا جورج لمَ لمْ تحضرهم معك؟

- سيأتون خلال دقائق.. فهم يشترون بعض حاجياتهم من المحل الضخم الذي يجاور منزلنا..

- أشعر كأنهم تأخروا.. كم أنا مشتاقة أن أقضي وقتاً طويلاً بينهم..

لم تكن تجرؤ على مداعبتهم من قبل حتى لا تسبب لهم الأذى، أما الآن فلم تعد تخاف من ذلك..

ولكنها فوجئت يوماً بالمربية تدخل عليها خائفة:

– ماذا هناك؟ ماذا حدث لك؟

– (تيريزا) يا سيدتي صعقتني بالكهرباء..

– ماذا تقولين؟

– حالما لامستني (تيريزا) أحسست بقلبي ينخلع آه.. أحس بدوار هائل..

– تماسكي قليلاً.. سيحضر جورج خلال دقائق..

وحضر جورج فوجد الوجوم على وجهيهما:

– ماذا هناك؟

– يبدو أنني أورّث طاقتي الكهربائية لأولادي..

– ماذا؟.

– طفلتنا الكبيرة أصابت مربيتها بالإغماء نتيجة الشحنة الكهربائية التي نقلتها إليها وأدت إلى صعقها وإغمائها..

– لنطعم الأولاد جميعاً من البصل.. ونشجعهم على تناوله إنه الحل الأمثل..

***

وهكذا حل البصل مشاكل جاكي بريشمان وعادت إلى طبيعتها هي وأطفالها.. الذين كان بعضهم يباهي بطاقته الكهربائية..

وهكذا حقق العلم إنجازه المنطقي في حل مشكلة جاكي بريشمان المرأة المكهربة التي تقطن وزوجها الآن في أحد ضواحي لندن...

7- عيون تطلق الشرر*:

(بنديتو سوبانو) شاب له حكاية غريبة، هزّت علماء إيطاليا والصحافة العلمية العالمية.. إنه يعمل في البحث العلمي الآن وهو من مواليد 1969.. كان في السابعة عشرة من عمره حين استيقظ في الليل على رائحة شواء..

"يا إلهي.. أشم رائحة شواء ما هذا؟ حريق؟ النار تمتد في السرير.. ماما.. بابا.. أدركاني أنا أحترق.."

- بنديتو حبيبي.. النار.. النار.. عجل يا ألبرتو.. الصبي يحترق..

وبصعوبة أطفأ الوالدان النار:

- الحمد لله، تمكنا من إنقاذه إنه فاقد الوعي.. يا إلهي..

- لا تخافي يا عزيزتي سيكون على ما يرام.. تبدو حروقه بسيطة..

- يجب نقله للمستشفى..

- اتصلت بسيارة الإسعاف إنها قادمة..

عولج بنديتو من إصاباته وشفي منها.. وبعد أيام حاولت أمه معرفة سبب الحريق:

- ترى كيف حصلت الحادثة، ألا تتذكر يا بني؟

- لا يا أمي، صحوت على رائحة الشواء والنار تمتد إلى سريري..

- هكذا دون سبب..

- أؤكد لك يا أمي..

- اسمع يا بني، إذا كنت تدخن سراً ونسيت إطفاء سيجارتك ونمت، وحدث

---

* التقيت بـ (بنديتو) في تشرين ثاني 1990 في المركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستا بحضور البروفسور محمد عبد السلام الذي كان رئيساً للمركز الدولي في ذلك الحين.. وحكى لنا بالتفصيل في ذلك الحين حكايته مع تلك الظاهرة الخارقة.. وفي روما 1998 في شهر تشرين أول.. التقيت به وقد حصل على شهادة الدكتوراه.. وكان ما يزال يتمتع بتلك الظاهرة، ولكنه أصبح يتحكم بها ولا تتحكم به..

الحريق فيجب أن تخبرني بذلك..

– أؤكد لك أنني لا أدخن، إن ما حدث لا أعرف سببه..

– يجب أن تكون حذراً في المرة القادمة، فاعلم أنه لا دخان بلا نار لن أحكي لوالدك، أصدقني القول يا بني..

– أوه.. يا إلهي.. أقسم لك أن ما قلته صحيحاً..

– حسناً.. لا تغضب.. لن أسألك مرة ثانية..

***

وبعد أيام:

– كم أنت منظّمة لوقتك يا أمي، فور استيقاظك تعلقين ورقة الواجبات المنزلية المطلوبة منك..

– هكذا أفضل يا بني.. سأعد الإفطار.. انهض واغسل وجهك..

نادته بعد دقائق:

– الإفطار جاهز يا بنديتو..

– يا إلهي، أنا أراقب ورقة الواجبات المنزلية، انظر إليها، فقط إنها تحترق.. يجب أن أطفئ النار..

– لماذا تأخرت؟ أسرع قبل أن يبرد البيض.. لماذا لا ترد؟ أنا قادمة إليك أيها الكسول..

– الحمد لله وأخيراً نجحت في إطفاء الحريق الصغير..

– ماذا تفعل؟ لماذا أحرقت ورقة الواجبات المنزلية؟

– احترقت لوحدها، أقسم لك..

– ما هذا الكلام؟ لم تعذبني يا بني، تعلم أنني سأنفق وقتاً لإعادة كتابتها..

– أقسم لك يا أمي لم أمس الورقة..

- كيف؟ أتحترق هكذا لنفسها؟ من يصدق هذا الهراء؟ لا تعيد الكرة وإلا أخبرت والدك..

- أمي.. والله..

- لا تقسم اصمت لا أحبّ أن أسمعك تكذب، لم أعوّدك على الكذب كما أعلم..

- أمي..

تركته غاضبة وفي اليوم التالي:

- اسمع يا ألبرتو إن أمر الصبي يحيرني..

- ما تقصدين؟ لم أفهم..

- كثرت الحرائق الصغيرة في البيت يبدو أن بنديتو فقد صوابه إنه يتسلى بحرق الأشياء في المنزل..

- ماذا تقولين؟

- الحقيقة يا عزيزي.. أمس أحرق في الصباح ورقة الواجبات المنزلية، وفي المساء حرق كتابه – كتاب الهندسة الفراغية – واليوم أشعل النار في خشب الطاولة الصغيرة في غرفة الجلوس..

- سأري هذا الصبي الأخرق نتيجة أعماله..

- إنه يقسم أن النار تشتعل بنفسها..

- وأي عاقل يصدق هذا الكلام؟

- أرجوك لا تغضب منه حاول أن تعالج الأمر بهدوء..

- حسناً.. سأناديه فور انتهائي من تبديل ثيابي..

- لا تزعجه كثيراً إنه ولد حساس..

- طيب.. طيب.. لا تقلقي..

- اسمع يا بنديتو..

- نعم يا أبي، ماذا تريد؟

- ماذا تفعل الآن؟

- أدرس.. أتريد شيئاً؟

- أريد أن أتكلم معك.. تعال..

- نعم يا أبي..

همست الأم، تخفف من غضب الأب:

- أرجوك يا ألبرتو، انتبه لا تزعجه كثيراً..

- اذهبي الآن سأكلمه على انفراد..

خرجت وتركتهما معاً:

- اسمع يا بني.. أنت وحيدنا ولا أظن أننا قصرنا معك في شيء..

- ماذا هناك يا أبي؟

- لماذا لا تصدقنا القول عن أسباب الحرائق التي تحدث في المنزل؟ هذا عمل غير مهذب..

- صدقني يا أبي لم أفعل تلك الحرائق بنفسي..

- أمن المعقول أن تبدأ تلك الحرائق دون سبب؟ أي منطق هذا؟

- بحثت طويلاً عن السر وقد عرفته ولكنه يعذبني كثيراً..

- قل لي لا تخف.. ما هو هذا السر؟ أتفعل أشياء دون قصد؟ أم أنك تقوم بإشعال النار دون أن تشعر، أقصد بلا وعي منك..

- أنا المسبب للنار ولكن دون قصد..

- لم أفهم..

- سأجري تجربة أمامك.. سأضع هذه الورقة في منفضة السجائر.. وسأبتعد

عنها.. سأقف قربك..

– نعم..

– حين أركز نظراتي عليها تحترق بنفسها يا أبي.. انظر..

هتف الأب صارخاً:

– يا إلهي.. إنك محق كيف؟ أيمكنك أن تعيد التجربة مرة ثانية؟

– بالطبع..

– هذا غير معقول؟ كيف يحدث هذا كيف؟

– والله لا أعلم.. أنا نفسي خائف ومتحير.. لقد أصبحت خطراً، خطراً على كل شيء ماذا أفعل؟

– هدئ نفسك يا بنديتو سنجد حلاً لذلك لا تقلق يا بني..

وحكى ألبرتو للأم ما رآه، ففغرت فاهها مندهشة:

– أيمكن أن يحدث هذا؟

– الصبي معذب ومتعب قام بالتجربة أمامي ولا يعرف السرّ يجب أن نأخذه لطبيب..

– يبدو ذلك كالسحر.. يا إلهي يا للولد المعذب، لم يكذب عليّ، كان يشعل النار بنظراته دون أن يعلم.. أية طاقة خارقة يملكها؟.

اصطحبه ألبرتو إلى عيادة أحد الأطباء وعاد خائب الأمل:

– يجب عرضه على اختصاصي في علم نفس الحاسة السادسة – الباراسيكولوجي –

– ألم يعرف الطبيب شيئاً عن حالته يا ألبرتو؟

– يقول إنها حالة غريبة، ولدنا يملك طاقة كهربائية عالية..

– ولا حلّ لمشكلته.. يا كبدي عليه.. ستتعقّد حياته كثيراً.. لقد احترق كتاب

آخر من كتبه المدرسية هذا الصباح وهو يقرأ فيه.. يجب أن تأخذه لاختصاصي نفسي، ألم يدلك الطبيب على أحد؟

- نعم، وسنزوره في المساء..

***

ورن جرس الهاتف، رفعت الأم السماعة، كان ذلك بعد أيام من مقابلة الطبيب النفسي:

- آلو.. نعم.. هنا منزل ألبرتو سوبانو..

- أنا ماري من صحيفة غازيتا نرغب بمقابلة بنديتو سوبانو، أأنتِ والدته؟

- نعم..

- سمعنا عنه أشياء كثيرة.. أيمكن أن يحدد موعداً لمقابلتنا؟

- سيعقد بنديتو مؤتمراً صحفياً نتيجة اتصال الصحفيين من كل المدن الإيطالية..

- ومتى سيكون هذا المؤتمر؟

- نشرت عنه صحف العاصمة ألم تقرئي الخبر؟

- أتحدث إليك من صقلية.. غازيتا الصحيفة التي أعمل بها تصدر في صقلية..

- سيبدأ المؤتمر في الساعة الخامسة مساءً في قاعة اتحاد الصحفيين في روما..

- شكراً لك..

***

- يقولون أن بنديتو صبي خارق.. ولكنه في مشكلة حقيقية، إنه مولد كهربائي متحرك، يحرق الأشياء من حوله.. حتى أنا وأنت لا نجرؤ على

لمسه، إن كهرباء جسمه تصعق.. يا لولدي المسكين..

– وماذا نفعل؟ أكد الطبيب النفسي أن حالة بنديتو حالة نادرة ولكن قد تذهب شحنة جسمه الكهربائية مع الزمن..

– ألا يوجد حل؟ وكيف سيمارس حياته هذا الصبي المسكين؟

– النصيحة التي أسداها الطبيب هي أن بنديتو يجب أن لا يركز نظراته على شيء..

– وكيف؟ لا أظن أن ذلك باستطاعته..

– لقد أبدى بنديتو تفهماً وقال إنه مرّن نفسه خلال الأيام الماضية بالتحكم بتركيز نظراته أي أنه أصبح يتحكم بالحرائق..

– هذا أفضل، يا للصبي المسكين..

– هدئ نفسك.. سيكون كل شيء على ما يرام بإذن الله..

***

تحت الحاح الصحافة المحلية، قبل هذا الشاب الخارق أن يجيب على جميع أسئلة الصحافيين..

– أقدم لكم أيها الزملاء (بنديتو سوبانو) ذا النظرات الخارقة.. هذه هي والدته، ووالده ألبرتو.. وهما مستعدان للإجابة أيضاً على أسئلتكم..

– أيمكن أن تجري يا بنديتو اختباراً أمامنا؟

– بكل سرور.. ضعوا على المنضدة أي شيء قابل للاحتراق. هناك فوق الوعاء المعدني.. ووضعت على المنضدة فوق الوعاء المعدني مجموعة من الأوراق..

– يا إلهي إنها تحترق كما لو أشعلت بعود من الثقاب؟

– إنه أمر عجيب.. سأضع هذا المنديل أيمكن أن يحترق أيضاً..

- نعم..

- يستطيع أن يحرق كل شيء قابل للاحتراق؟

- كأن أشعة غير مرئية تتركز في عينيه لتحرق الأشياء..

- وهذا اللوح الخشبي رسمت عليه دوائر.. سيقوم بنديتو بإحراق الدوائر وفصلها عن اللوح..

- أمعقول هذا؟

- شيء أشبه بالحلم..

- بعد أن رأينا قدرة بنديتو الخارقة يمكننا الآن طرح الأسئلة عليه..

- هل هناك شيء لافت للنظر في طفولة بنديتو يا سيدة سوبانو؟

- كان ولداً لطيفاً حساساً.. لم أؤنبه مرة لسوء سلوكه أو لقيامه بعمل مؤذ كان في منتهى الوداعة واللطف..

- وأنت يا سيد (ألبرتو) ماذا تقول عن ولدك؟ وهل هناك شيء خارق في تصرفاته أعجبك، وكتمته عن زوجتك؟

- لا يا سيدي، كان ابني كما قالت والدته في منتهى اللطف والوداعة.. حتى أنني استغربت عندما قالت لي والدته إنه يدخّن، وأنه سبّب بلا مبالاته اشتعال النار في الفراش.. وفي أشياء أخرى..

- أحقاً كان يدخن؟

- لم نفهم سر الحرائق المتكرّرة، وعندما تعرفنا على طاقته الكهربائية فهمنا الأسباب المباشرة لتلك الحوادث التي كانت تجري في المنزل..

- تقصد حوادث الحريق..

- نعم..

- وأنت يا بنديتو حدثنا عن طفولتك هل كانت مميزة عن طفولة زملائك

وأصدقائك؟

– ماذا أستطيع أن أقول كنت طفلاً عادياً مثل كل الأطفال، أحب قراءة القصص المثيرة وأذهب مع رفاقي لمشاهدة الأفلام السينمائية..

– الأفلام التي تتحدث عن المغامرة والبطولة؟

– نعم.. كنت أعجب كثيراً بسوبرمان، بالرجل الحديدي، والرجل الوطواط، والعنكبوت وكل الأشخاص الذين يظهرون خارقين في الأفلام، وكنت كثيراً ما أسرح بخيالي في البحث عن إمكانية وجود مثل هؤلاء الأشخاص.. ويبدو أنني صرت خارقاً دون أن أدري..

***

ومرّت الأيام، وبنديتو يكبر في العمر.. ولم تنقص قدراته الخارقة، ألا أنه أصبح يتحكم بها جيداً.. وهو حالياً يدرّس في الجامعة.. بعد أن حصل على درجة الدكتوراه في الطاقة وما يزال يستطيع أن يحرق الأشياء بنظراته الخارقة..

فحص العلماء والأطباء الفيزيولوجيون وأطباء النفس بنديتو، وأدار اختصاصيو الباراسيكولوجي حواراً معه استمر لساعات.. لمعرفة سر الطاقة المحيّرة..

ولم يتمكنوا من الوصول إلى نتيجة..

كانت النتيجة الأكثر منطقية هو أن الجهاز البصري يلتقط من المخ كهرباء عالية، تمكّن عدستي الأبصار من تركيز الكهرباء بشكل أشعة، تحرق الأشياء مثلما تحرق العدسة الزجاجية الموضوعة في الشمس أي شيء قابل للاحتراق يقع في بؤرتها..

وحالته نادرة الحدوث في العالم.. وفي علم نفس الحاسة السادسة والظواهر

الخارقة وردت عدة حالات كان بطلها يستطيع أن يحرك الأشياء بعينيه وأن يحرقها أيضاً.. بل وكان بعض هؤلاء الناس ينظرون إلى الأواني الزجاجية نظرات مركزة، فيكسرونها نذكر من بينهم (لورا دايمون) وهي فتاة أمريكية، كان بمقدورها أن تحطّم أي شيء قابل للتحطيم.. كانت لورا دايمون ابنة قس يعمل في سان فرانسيسكو ورثت عن جدتها لأمّها قوة خارقة تمكنها من التحكم بنفسها وتركيز نظراتها على كأس مثلاً، وتحريكه لعدة سنتمترات وكسر المصابيح الكهربائية لمجرد أن تنظر إليها نظرة عميقة..

أصيبت لورا دايمون في عام 1982 بحادث سيارة.. بعد أن قدمت عروضها في سيرك نيويورك أمام جمهور غفير.. ونقلت إلى المستشفى وكانت حالتها خطرة..

- الفتاة تنزف نتيجة جرح كبير في كتفها من جراء الزجاج المهشّم..

- ألا يمكن أن تعيش؟.. أرجوك يا دكتور أيمكن أن تطمئنني على حالتها..

- إنها غائبة عن الوعي الآن وبصراحة حالتها ليست جيدة..

- تعني أن ابنتي ستموت؟

- أرجو أن تتمكن من الانتصار على إصابتها الخطيرة..

واستيقظت لورا من أثر المخدر:

- آه.. أين أنا؟ كتفي.. ذراعي.. يا إلهي.. ماذا أرى؟

- اهدئي يا ابنتي ستتحسنين إن شاء الله..

- ماذا حدث لي يا أبي؟

- اصطدمت سيارتك بشاحنة على الطريق العام.. ولولا ستر الله لكنت في عداد الأموات..

- رأسي يؤلمني..

- سأستدعي الطبيب حالاً..
- لماذا أحاطوا عيني اليمنى بالضماد؟
- دخلت نثرة زجاج.. وقد أخرجها الأطباء ولا خطر عليها..

دخل الطبيب يفحص حالتها:

- كيف حالك الآن يا لورا؟
- متى ستنزع الضماد عن عيني يا دكتور؟
- الآن.. أعتقد أنها بحالة جيدة.. هل أنت خائفة؟
- أنا متضايقة جداً من الضماد.. كأنه يمنع عني التنفس..
- إلى هذه الدرجة؟
- نعم..
- اهدئي.. سأزيل الضماد.. لا تفتحي عينك المصابة الآن سأضع قطرة من هذا السائل فيها ثم افعلي ما تشائين..
- آه.. يا إلهي.. إنه مؤلم..
- ليس كثيراً.. الآن يمكنك النظر..
- دكتور.. لا أرى فيها جيداً هل فقدت عيني؟
- ماذا تقولين؟ سيعود البصر إليها بالتدريج.. اهدئي ولا تستعجلي كثيراً..

وفي اليوم التالي:

- كيف حالها الآن؟
- لا تزال نائمة يا دكتور..
- بسبب حقنة المسكن.. سترى الآن بشكل طبيعي لا تقلق..
- لست قلقاً.. قبل أن تنام تمكنت من تحريك الكأس على الطاولة..
- قلت لها أن لا تتحرك من السرير، ماالذي أوصلها إلى الطاولة؟

- يبدو أنك لم تسمع عن ابنتي لورا يادكتور يمكنها تحريك الأشياء بعينيها عن بعد وكسر وتحطيم القابل منها للكسر..
- آه يا إلهي كيف غاب عني اسم لورا دايمون.. الآن فسرت سبب وجود ذلك السائل الكثيف أكثر من اللازم في عينيها..
- ماذا تقصد؟
- لا شيء ذو قيمة لا تقلق..
وتحركت لورا في سريرها:
- آه.. أين أنا؟ آه كيف حالك يا أبي؟ ماتزال هنا.؟
- أنت بخير يا ابنتي..
- دكتور هل رجلي مكسورة؟
- إنه ثلم صغير ليس كسراً بالمعنى الصحيح..
- آه.. هنا.. أستطيع أن أنظر إليه..
- ماذا تفعلين؟ لماذا تنزعين الأغطية؟
- أريد أن أساعد في التحام (الثلم) كما سميته..
- كيف؟
- هكذا...
راقبها الطبيب بذهول وهو يحدث نفسه:
- "يا إلهي ما هذا؟ كأن عينيها منبع أشعة مخيفة.."
- ليتني أتمكن من النظر مباشرة إلى كتفي.. سأحاول على كل حال..
- "يا إلهي الجبس يتشقق وينكسر عن الكتف عاد الضوء المخيف إلى عينيها"
نهضت لورا بعد يومين من إصابتها صحيحة معافاة.. وقد طلب منها

الطبيب استخدام عينيها للحم بعض الكسور الصعبة في المستشفى.. وقامت بعمل جبار.. ولكن حالتها ساءت بعد أيام.. نتيجة الجهد الخارق في تركيز نظراتها.. فماتت في السابع عشر من تشرين الثاني 1982 بعد أن أظهرت قوة نظراتها الخارقة أمام حشد كبير ضمّ العديد من علماء النفس والأطباء.. ولم يصل عمرها حين ماتت إلى سبعة وعشرين عاماً.. ولو استمرت حياتها لحققت معجزات هائلة بقدراتها الخارقة..

إيطاليا – تشرين أول 1998

بعض المصادر العربيّة

1. الإنسـان وقـواه الخفيّـة – كولـون ويلسـون – دار الآداب – بيـروت – 2009.

2. تنمية الحاسة السادسة – أساليب عمليّة لتطوير حدسك – تيريزا شونغ – دار البشير– 2002 – دمشق.

3. الحاسـة السادسـة – كولون ويلسون – بيروت – دار الآداب – بيروت– 2007.

4. الحاسـة السادسـة – قـوة تـأثير العقل علـى الأشـياء الماديّـة – د. مـاهر يسري – دار المشارق – مصر 2012.

5. الإدراك المسبق والأرواح– بين الحقيقة والخيال – يوسف أبو الحجّاج – دار الوليد للدراسات والترجمة– 2008 مصر.

6. مبادئ العلاج بالطاقة الحيويّة – الدار العربيّة للعلوم – عبد التواب عبد الله حسين – ط 1 – القاهرة 2004.

7. هالـة الإنسـان– قـيس غـوش – عـز الـدين للطباعـة والنشـر – ط 1 – 2001.

8. دليل الطاقة الإيجابيّة – فينـغ شوي – مؤسسـة الإنتشـار العربـي. ط– 1 بيروت – 2001.

9. الكارما – ميخائيل ميلر – دار علاء الدين – ط 1– 2002 – دمشق.

10. تعـرّف إلـى وعيـك – علـوم الأزيتوريـك – تـأليف ج ب م – أصـدقاء. المعرفة البيضـاء – بيروت 2000.

11. الأزيتوريك علم المعرفة – ج ب م – أصدقاء المعرفة البيضـاء – بيروت 1994.

12.العلاج بالمغناطيسيّة الذاتيّة – حميد الأزري – المكتبة الثقافيّة – تونس– ط 1- 1990.

13.سحر الأسطورة – رحلة في أعماق الهند – د. طالب عمران – وزارة الثقافة – دمشق 1990.

14.الكون يكشف أسراره – د. طالب عمران– دار معد – دمشق - 1993.

15.كوكب العاصفة – د. طالب عمران - دار معد- دمشق – 1994.

16.أحزان السندباد – د. طالب عمران - اتحاد الكتّاب العرب – دمشق1997.

17.البعد الخامس – د. طالب عمران – اتحاد الكتّاب العرب – دمشق1998.

18.الأزمان المظلمة – د. طالب عمران – دار الفكر – دمشق- ط 1- 2003.

19.ملامح من الفوضى القادمة – د.طالب عمران – وزارة الثقافة - دمشق – ط 1- 2004.

20.وازن الأرواح – أندريه موروا – ترجمة د. عبد الحليم محمود – دار الشعب – القاهرة 1971.

بعض المصادر الأجنبيّة

1) Kay Hooper - Touching Evil - New York: Bantam Books, 2001.
2) Grave sight - Charlaine Harris - Berkley Prime Crime Books, 2006
3) Joseph Banks Rhine - Extra-sensory Perception. Boston Society for Psychic Research, 1954 - Published December 12th 1983 by “Branden Books” (first published 1934).
4) Joseph Gaither Pratt, Joseph Banks Rhine, Burke M. Smith, Charles Edward Stuart, Joseph Albert Greenwood - “Extra-sensory Perception After Sixty Years” - H. Holt and Company, 1940 - Parapsychology - 463 pages.
5) V.Rubin.K. ”The rotation of spiral galaxies“ . Science, June 1983.
6) Waldrop, “In search of dark matter”. Science, September, October 1986.
7) Upanishad ,The last Parts of Vedas - (vol-1-2-3-5-7..) Published by Rada Krishna- London - 1953.
8) Edas, The holly book of Hindus.
9) Hexagon Roche volume 13 1985 number 5;6.
10) College Physics. Zemansky ,Young, 4 th edition, Addison- W*esleg Pub Co 1978.
11) Medicine Digest Vol 13No 9 Sep 1987.
12) The Psychopathology of Consciousness, edited by: Julian M Davidson ,and Richard J Davidson, Plenum Press 1980 New York.

13) Psychopathology its Causes and Symptoms, F Kraupl Taylor 1979, Unwin Brothers Limited, Great Britain.
14) Secrets From The City of Wisdom, Taleb Omran, First Edition 1997, Publishers and Advertisers –J-6, Krishna Nagar, DELHI- 110051- INDIA.
15) In Search of Secrets, Taleb Omran ,Fifth Edition 1999, Gupta Publishers Def. Colony.

الفهرس